

الاستخفاف
بالأعلام
مؤسسة اعلامية

الاعلام الاسلامي ..
مفاهيم وتجارب

دراسات في الأعلام

الاعلام الاسلامي
مفاهيم وتجارب

تأليف
زخيرة الأعرابي

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net
رابط بديل < mktba.net

دار الانوار للطبوعات

دار التعارف للطبوعات

الطبعة الاولى
م ١٩٧٧ هـ ١٣٩٧ هـ

دار المعارف للطبوعات - بيروت
شارع سورية - بناية درويش
ص.ب. ٦٤٣٠ - ت ٢٤٧٢٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ان في ذلك لذكوى لمن كان له قلب

او التى السمع وهو شهيد... »

قرآن كريم

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كاف في النية اصدار كتاب شامل حول الاعلام الاسلامي ...
مفهومه .. اساليبه .. القوى التي تؤثر عليه .. الحروب التي تشن
عليه .. الرأي العام في الاسلام .. الحرب النفسية ضد الاسلام
وغيرها من مواضيع العصر ...

وقد ارتأينا اصدار هذه المواضيع العصرية المترابطة تحت سلسلة
دراسات في الاعلام بصورة شهرية كسباً للوقت وتيسيراً في الاقتناء
وايجازاً في العرض وهذه هي الحلقة اولالي من هذه السلسلة التي تضم
الحلقات التالية :

- (١) الاعلام الاسلامي .. مفاهيم وتجارب .
- (٢) الشخصية الاسلامية مؤسسة اعلامية .
- (٣) الرأي العام الاسلامي وقوى التحريك .
- (٤) الحرب النفسية ومهمات الاعلام الاسلامي .
- (٥) الموقف الاسلامي ضد عمليات غسل الدماغ .
- (٦) الصحافة الاسلامية .. الواقع والآفاق .

ونأمل ان يكون الموضوع باباً لدراسات اخرى في المستقبل القريب
انشاء الله .. ومنه تعالى نستمد الاعتصام وهو ولي السداد والتوفيق .

زهير الاعرجي

بغداد - ١٧ تشرين اول ١٩٧٦

(١)

يقصد بالاعلام من الناحية العملية الاسلوب المنظم للدعاية السياسية او ترويج الأفكار في وسط مهيمٍ نفسياً لاستقبال السيول الفكرية التي تقذفها المصادر التي تتحكم بالرأي العام وتمسك زمام الامور بيد من حديد ..

ويمكن ان نفهم اصطلاح « الاعلام » على انه الاسلوب الذي يحرك مشاعر التفكير ومكامن الاحساس للانسان ويهز الشعور العاطفي والنفسي بقوة تتناسب مع قوة التأثير وعظمة الدعوة .. وتأثير الاعلام على وتر للشعور وحبل العاطفة كبير اذا تصورنا ان لهذا الوتر رد فعل يهتز مع ايقاع هذا الفعل .. وبالنتيجة فان رد الفعل سيكون سائبا اذا لم تتحكم به القوانين .. ويكون رد الفعل عاطفياً اذا لم يتدخل العقل والفكر بدوره الكبير في صد فوران العاطفة وارجاعها الى حدودها ، ولهذا فان اكثر ما يسري وينتشر تأثيره في الاوساط التي تعاني فقراً فكرياً او الاوساط التي تفتقر الى نوعية جيدة من الغذاء الفكري .

وقد حاولت بعض الفئات الفصل بين الاعلام والفكر باعتبار ان الاعلام يمثل مرحلة سطحية من مراحل الفكر ويمكن ان يوجه السي جمهور ذو مستوى فكري واطيء ويمكن تصديره من (مفكرين) مأجورين .. وان الفكر يمثل قمة النشاط الذهني الانساني ولا يصل

الفكر الى كل الناس باعتبار ان الفكر يخاطب النخبة المثقفة من
الجهاهير ..

ونحن نقول ان الاعلام الاسلامي ليس اعلاماً سطحياً يخاطب
حالات المجتمع بأسلوب ساقط ولا فكراً فلسفياً يجادل الفلاسفة ويترك
الناس .. انه اعلام يستند على فكر ثابت آلهي ورسالي ويستمد قوته
من الركائز العقائدية التي دقتها معاني وبلغات القرآن الكريم في نفس
وعقل الانسان المسلم فعلاً .. ونقصد بالانسان المسلم الانسان الذي
ينقل الاسلام من الرفوف الى الواقع .. والاعلام الاسلامي اضافة الى
ذلك اعلام هادف على المستوى المرحلي والبعيد المدى .. اعلام هادف
بمعنى ان رجل الاعلام الاسلامي يمتلك وضوحاً في التفكير ووضوحاً
بالهدف فلا يتغني الترقيع لمرحلة معينة انتظاراً لمجيء التبديل من
الاسماء .. فهو مطالب بان يقول الحق ولو كره ذلك ، وهو مطالب بأن
يقول الحق اذا رأى ان للباطل صولة .. فهو ان قتل لقوله الحق فقد
ذهب شهيداً وذهبت روحه في حوصلة طير اخضر يسرح في الجنة حيث
يشاء :

(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون)

البقرة : ١٥٥

.. وان اتصر الحق على الباطل وذهبت كلمته
الى مسامع الدنيا تبشر بالمولد الجديد مولد الاسلام فقد فاز في الدنيا
والآخرة ، وذلك هو الانتصار العظيم ..

وتقول ان الاعلام الاسلامي اعلام هادف على المستوى المرحلي
والبعيد المدى .. لأن الاسلام لا يعترف بانصاف الحلول .. فاما الجاهلية
واما الاسلام ولا دخل للواسطة في تحديد وتحجم الغاية او الهدف ..
والكلمة التي يقولها الاسلام في المستوى المرحلي هي الكلمة التي يقولها
على المدى البعيد وهي الكلمة التي قالها قبل مئات السنين لأن كلمة

الاسلام هي كلمة الله ولأن الدين عند الله الاسلام فلا تبديل في كلمة الله
(سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) الفتح : ٢٣

فهدف الاسلام على المستوى البعيد هو اقامة دولة الله في الارض
ولا يميح هذا الهدف مرحلة زمنية او وقفة تأملية لأن الركب سائر ولا
يضير السحاب نبج الكلاب ... ولا يمكن ان يغير الهدف مرحلة تكتيكية
لأن التكتيك اذا خالف شريعة الله فقد اصبح نفاق .. والمناقفون هم
حطب جهنم ووقودها ..

فاذا اخرجنا النفاق من عنصر الاعلام واخرجنا الشعارات المزيفة
التي يرفعها المنافقون ، الاحياء منهم والميتون ، وحذفنا عنصر الجبن
والتزلف ، وابتدنا عنصر الشجاعة والاقدام وحب الاستشهاد لاصبحت
لنا دائرة اعلامية في غاية النظافة والطهارة وهذه الدائرة هي التي
نسميها بالاعلام الاسلامي ..

ويمكننا الآن ان نحدد النقاط الأساسية التي يجب مناقشتها في دائرة
الاعلام الاسلامي من خلال استقراء الفكر الاسلامي والاساليب الحديثة
في اقبال هذا الفكر الى اكبر عدد ممكن من الناس بأسلوب مؤثر وطريقة
فعالة .. ويمكن اجمال هذه النقاط كالآتي :

١ - متانة الفكر الاسلامي .

٢ - قوة الشخصية الاسلامية والتي نعتبرها مؤسسة اعلامية
مستقلة .

٣ - دراسة نفسية الناس في المجتمع المراد تنويره بالاسلام .

٤ - دراسة التيارات الفكرية المعاصرة واستخلاص عصاراتها
الفكرية في سبيل اعداد دراسات نقدية كاملة عنها وبقلام كفاءة .

٥ - دراسة موقع الاسلام من التيارات المعاصرة ووضع تقييم
موضوعي لوضع الاسلام الحاضر .

٦ - دراسة الاسلوب الافضل للاعلام الاسلامي الحديث .

وتتناول الآن بالتفصيل النقطة الاولى من النقاط الست السابقة
وهي متانة الفكر الاسلامي .

١ - متانة الفكر الاسلامي

الفكر الاسلامي ينقسم الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : الفكر القرآني ويضم بين دفتيه قمة الفكر الرسالي
واسلوب أرقى رسالات السماء وخاتمها .. والقرآن يحوي كل شيء ،
من الفكر السياسي الى التنظيم الى الاقتصاد الى الزراعة الى الصناعة
الى علم الفلك الى علم ابيولوجيا الى علم معرفة الله الى علم التشريح
الى علم تكوين الارض وافضل هذه العلوم جميعا علم معرفة الله ، والقرآن
أغنى كتاب رسالي معرفة بالله سبحانه وتعالى :

(هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم *
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الخالق البارئ المصور ، له الاسماء
الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) الحشر: ٢٢-٢٥
(الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش وسخر
الشمس والقمر ، كل يجري لاجل مسمى ، يدبر الامر يفصل
الآيات لعلكم تفلحون) الرعد : ٢ .

والقرآن فكر دعوة وفكر تنظيم .. وباتحاد الدعوة والتنظيم في
ذهن الانسان يخلق الانسان المسلم المجاهد الذي يتفجر ثورية ويشتمل
ايمانا برسالة السماء ..

القسم الثاني : فكر الرسول (ص) ، حيث لم يتعلم الرسول (ص)
في مدرسة دينوية او كلية أرضية بل احالته العناية الالهية بعلمها وأدخلته

في المدرسة الالهية الرسالية فتخرج معلماً للناس (اتما بعثت معلماً) -
حديث شريف ، ولا بد ان يكون معلم الناس اعلمهم جميعاً .. فاستقائنا
لعلم الرسول (ص) وفكره استقائنا لعلم وفكر لا ينضب .. والينبوع
هو الينبوع لا حساب في جريه لليل او نهار . ولو تلمسنا جانباً من
فكره لرأينا عجباً فهو يقول في الحكمة :

(الحكمة ضالة المؤمن اتي وجبها فهو احق الناس بها) .

ويقول :

(خلوا الحكمة من اي وعاء خرجت) .

ويقول (ص) عن الاعلام :

« ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا
- وأشار الى لسانه - أو يرحم » . ويقول (ص) في الدنيا : « ان العنيسا
خلوة خفرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا
واتقوا النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء » .

ويقول (ص) أيضاً :

ويقول (ص) ايضاً : « الصبر عند الصدمة الاولى » ، « لا تباشر المرأة
المرأة فتننتها لزوجها كانه ينظر اليها » ، « سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله
يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبسه
معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل
دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال اني اخاف الله ، ورجل تصدق
بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه » ، « ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته » ، « ان
رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » ، « اذا
ضيعت الامانة (1) فانتظر الساعة . قيل : كيف اضاعها يا رسول الله ؟
قال : اذا اسند الامر الى غير اهله فانتظر الساعة » .

وفي هذه الاحاديث يتناول الرسول الكريم (ص) الحكمة والاعلام
والدنيا والنساء والصبر والشباب والظلم والسياسة والدولة .. وفي كل

(1) أي امانة الحكم .

موضع من هذه المواضع يضع الرسول الكريم (ص) علامة في الطريق .. فهو يعلمنا كيف نبني الدولة في انفسنا وفي مجتمعا .. وكيف نربط العمل بالعبادة ، والدنيا بالآخرة ، والسعي بالايان .. انه الاطار الرسالي للاشعة القرآنية .. فلرسالة حدود واطر .. وللفكر معايير ومقاييس .. وفكر الرسول (ص) يمثل قمة التزام الانسان برسالة السماء .. الرسالة التي غيرت وجه التاريخ وصنعت من الانسان المبعثر الجاهل انساناً في غاية التنظيم والعقلانية ..

والقسم الثالث : فكر الائمة (ع) والصحابة رضوان الله عليهم
من خلال أحاديثهم وتصرفاتهم واسلوب حياتهم ، فالائمة (ع) والصحابة لم يتعلموا في اكااديمية علمية او جامعة أدبية او معهد تاريخي ولم يحصلوا على شهادة البكلوريوس ولا شهادة الدكتوراه .. بل حصلوا على شهادة العلم من القرآن الكريم وشهادة التجربة من سلوك الرسول الكريم محمد (ص) .. فكان كل واحد منهم يمثل مدرسة فكرية كاملة النضوج والاستقلال ..

يقول الامام علي (ع) في الموت بعد ان يصور الحركة والتفاعل في ذلك العالم :

« ولكنهم شقوا كاساً ببلتهم بالنطق خرساً ، وبالسَّمع صمماً ، وبالحركات سكوتاً . فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات (١) .. جيران لا يتآسئون ، واحباء لا يتزاوون ، بليت بينهم عرى التعارف ، وانقطعت منهم اسباب الاخاء . فكلهم وحيد وهم جميع ، وبجانب الهجر وهم اخلاء ، لا يتعارفون لليل صباحاً ، ولا لنهار مساء . اي الجديدين (٢) ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً (٣) » .

(١) ارتجال الصفة : وصف الحال بلا تأمل ، فالواصف لهم باول النظر يظنهم صرعى من السبات ، اي النوم .
(٢) الجديدان : الليل والنهار .
(٣) سرمد : ابدى .

ويقول في حِكْمه الجليلة التي تنم عن عمق في الادراك وموضوعية
في التقدير وقوة في الاستنباط وسمو في التعبير .
« الناس اعداء ما جهلوا » ، « قيمة كل امرئ ما يحسنه » ، « الفجور
دار حصن ذليل » ، « من تخفف لحق » .

ويقول في وصفه الحاسد :

« ما رايت ظالماً اشبه بمظلوم من الحاسد : نفس دائم وقلب هائم
وحزن لازم . مفتانظ على من لا ذنب له . بخيل بما لا يملك » .

ويقول في وحدة الوجود : « وما كان
ما تباعدا منها مضموماً في وحدة طرفاها الازل
والابد » .

ويقول (ع) في عظمة الخالق :

« لو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ
غاياته ما دلتك دلالة الاعلى أن فاطر النملة
هو فاطر النخلة . وما الجليل واللطيف ،
والثقل والخفيف ، والقوي والضعيف ، في
خلقه الا سواء ! وكذلك السماء والهواء ،
والرياح والماء والحجر ، واختلاف هذا الليل
والنهار ، وتفتجر هذه البحار ، وكثرة الجبال ،
وطول هذه القلال الخ .. » .

وروى عن نوف البكالي ان الامام
علي (ع) قال في خطبة له في الكوفة :
« ألا انه أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً ،
واقبل منها ما كان مدبراً . وأزعم الترحال
عباد الله الأخير ، وباعوا قليلاً من الدنيا

لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى ، ما ضرَّ
 اخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين
 ان لا يكونوا اليوم أحياء يسيفون الفصص
 ويشربون الرنق ؟ قد والله ، لقوا الله فوفاهم
 أجورهم وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم ، أين
 اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على
 الحق ؟ أين عمار ؟ وأين ابن التيهان ؟ وأين ذو
 الشهادتين ؟ وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين
 تعاقدوا على النية ؟ » •

وعن ضرار بن حمزة الضابي قال :
 فأشهد لقد رأيتہ - يقصد الامام - في بعض
 مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم
 في ظلامه قابض على لحيته يتلملم ويبكي بكاء
 الحزين ويقول : « يا دنيا يا دنيا ، اليك عني ،
 أبيّ تعرضت ؟ أم اليّ تشوقت ؟ لا حان
 حينك ، هيهات ! غري غيري ، لا حاجة لي
 فيك ، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها ! فميشك
 قصير ، وخطرك يسير ، وأملك حقير ! آه من
 قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم
 المورد » •

واليك قليلا من قوله في خلق السماء والارض :

« فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح
 برحمته ، ووتد بالصخور ميدان أرضه • ثم
 انشأ سبحانه فتق الاجواء ، وشق الارعاء ،

وسكائك الهواء ، فأجرى فيها ماء متلظماً
تياره متراكماً زخَّاره ، حمله على متن الرياح
العاصفة ، والززع القاصفة . ثم انشأ
سبحانه ريحاً أعتق مهبها ، وأعصف مجراها ،
وأبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار ،
وأثارة موج البحار ، فمخضته مخض السقاء
وعصفت به عصفها بالصفاء ترد أوله السى
آخره وساجيه الى مائره .. » (١) .

ويرسم لنا الامام علي (ع) منهجا كاملا في التصور والتعامل الاسلامي
مع المجتمع ومع الخالق .. فهو يجسم تحديد المنهج بعد ان حدده
الرسول (ص) من خلال تنفيذ أوامر القرآن الكريم ..
انه الفكر الاسلامي .. الفكر الذي مزق أعتى جاهلية في التاريخ ..
ولا زال يمزق جاهليات وجاهليات .. انه النبوع الذي لا حساب في جريه
ليل او نهار ..

٢ - قوة الشخصية الاسلامية

والنقطة الثانية من النقاط الست هي قوة الشخصية الاسلامية في
كونها مؤسسة اعلامية مستقلة وقد أفردنا حلقة خاصة وهي الحلقة التي
تلي هذه الدراسة مباشرة للتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل .

٣ - دراسة نفسية الناس في المجتمع المراد تنويره بالاسلام .

اما النقطة الثالثة والتي تتعلق بدراسة نفسية الناس في المجتمع الذي

(١) للتوسع راجع كتاب روائع نهج البلاغة (الامام علي) - جورج
جرداق - بيروت .

يراد تنويره بالاسلام فلا بد ان نقول كلمة قصيرة قبل ان ندرسها بصورة مفصلة في حلقة أخرى .

الدراسات النفسية دراسات حديثة استحدثت في جامعات ومعاهد المجتمعات المتقدمة والدول المستعمرة بعد ان استشرت هذه الدول حاجتها لدراسة نفسيات الشعوب المستعمرة بعد الثورات العنيفة التي قامت بها تلك الشعوب لطرد الغزاة من أراضيها .. وهكذا انشأت مؤسسات وجامعات ضخمة وباعداد كبيرة لدراسة علم النفس لتغطية الهدف الأساسي من هذه الدراسات .. وكان نصيب الاسلام من هذه الدراسات كبيرا .. درس الاسلام في جامعات علم النفس لا لكي يقيم من ناحية موضوعية ولا لكي يحل مشاكل العالم المستعمرة بسبل لتدريس جوانبه الروحية التي تجعل من الانسان يفضل الموت على الحياة في سبيل كلمة حق ويبع الدنيا بكل مفاتها واغراءاتها .. تلك الدنيا الفانية يبيعها ليشتري الحياة الآخرة (وجدنا قوما الموت أحب اليهم من الحياة ..) (١) ، درس الاسلام في جامعات علم النفس لكي تحلل مركباته الروحية والفكرية وتحلل بعدها نفسية الانسان المسلم .. تلك النفسية المطمئنة المؤمنة بالله وباليوم الآخر .. ولذلك كان السم القاتل الذي ثره الاستعمار الصليبي سريع المفعول ..

وقد يتساءل البعض ولماذا كان هذا السم سريع المفعول ؟

فيأتي الجواب قاطعاً كالسيف .. ان الاسلام مشخص ومدروس ونقاط الضعف في الاماكن التي كان فيها الاسلام يعيش في شهادات الجنسية والهويات وليس القلوب والعقول ، معروفة ومشخصة .. هذه أهداف دراسة علم النفس الحقيقية الذي طبّلت له الطبول الصليبية وزمرت له مزامير « المنافقين ووقف المسلمون في مناطق عدة من

(١) قول رسل كسرى عن المسلمين الذين فادسهم قبيل تحرير العراق من وثن الجاهلية .

أرض الله وكأن الامر لا يعينهم من قريب او بعيد .. هذه وقفة قد تكون
عابرة كان لنا ان نقولها قبل دراسة علم النفس والحرب النفسية ضد
الاسلام ولنا عودة لهذا الموضوع في الحلقة الرابعة انشاء الله ..

٤ - دراسة التيارات الفكرية المعاصرة واستخلاص عصاراتها الفكرية في
سبيل اعداد دراسات نقدية كاملة عنها وباقلام كفوة .

والتيارات الفكرية المعاصرة ليست آراء فردية لافراد مشتتين هنا
وهناك بل هي أفكار تسندها قوى ومؤسسات عالمية وهذه التيارات تستند
الى تنظيم يدفعها الى مختلف الاتجاهات .. وهذه التيارات كثيراً ما
خلبت أبواب الناس لارتدائها رداء العلمية والتقدم كما في الرأسمالية او
ارتدائها صفة التنظيم الاقتصادي وتلاعبها بالالفاظ كما في الماركسية
والاشتراكية .. او ارتدائها صفة التفاضل لجنس دون آخر لمجرد الانتماء
لذلك الجنس كما في القومية .. او ارتدائها ثوب الدعوة الى الانحلال
الخلقي كما في الصهيونية والميكافيلية .. أو ارتدائها لباس المحبة والسلام
وتخفي ورائها الحقد والانتقام كما في الصليبية ..

وهذه التيارات جسيماً تقف ورائها قوى عالمية تمدها بشتى أنواع
السلح المادي والفكري وتفدق عليها بكل ما من شأنه الايغال في التأثير
على الرأي العام .. وهذه التيارات الفكرية كلها وجدت لمحاربة الاسلام ..
وهي لا تحارب الاسلاب حرب موضوعية شريفة بل انها تستخدم شتى
الأساليب الملتوية وتمارس شتى أنواع الخداع للوصول الى أهدافها ..
فترى ان الصليبية بدأت الحرب ضد الاسلام بصورة سافرة لا تمسكها
القيم الخلقية ولا تثنيها الحدود الموضوعية .. واول كتاب صدر بالانجليزية
في اوروبا عن الرسول الكريم محمد (ص) في سنة ١٦٩٧ كان بعنوان
« الطبيعة الاصيلة لمحتال تجدها في سيرة محمد » . ونحن نساءل أهذا
عنوان لكتاب يصدر لأناس لهم فكر ومنطق؟ .. انا لا أقول ان مؤلف

هذا الكتاب غبي .. بل أقول ان مؤلف هذا الكتاب غبي وحاقد في آن واحد ، وحسبك بالغبى الحاقد كيف يكتب وكيف يتهم .. ثم اصف الى ذلك ماذا يمكن ان تتوقع من الذي يكتب عن شخصية ما ولم يدرس تلك الشخصية من مصادرها الاصلية .. وماذا يمكن ان تتوقع من الشخص الذي أعماه الحقد الاسود في الكتابة عن شخصية لم يعرف لها تاريخ البشرية مثيلا في الرحمة والعطف والفكر والقوة والشجاعة والروحانية الى آخر هذه الصفات الملائكية البشرية المشتركة .. الحقد ولعناء عنصران اذا لازما الانسان يفقدانه حتى أبسط مقوماته الانسانية .. اذن يا أيها الكاتب انت تقول ان الرسول الكريم محمد (ص) محتال والله يقول لرسوله (ص) :

(فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران : ١٥٦ .
لانفضوا من حولك (آل عمران ، ولعلنا نتساءل ولماذا كان رسول الله محتال ؟ ..

.. أكان يحتال لأنه كان يقول لصحابته :

لأن قومه كانوا يسخرون ويستهزؤون منه ويضربونه بالحجارة وهو يرفع يديه الى السماء ويقول :

(ربي اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) ..

.. أكان يحتال لأيه كان يقول لصحابته :

(لو كنتم تعلمون ما اعلم انضحكتكم قليلا ولبكيتم كثيرا) .

.. فأين باب الاحتيال في هذا التاريخ المشرق من سجل

البشرية .. أقول ان مؤلف هذا الكتاب ليس مسيحياً بل هو صليبي حاقد .. لماذا ؟ لأن المسيحية الحقبة تؤمن بوجود رسول اسمه (احمد) يأتي بعد يسوع المسيح .. وهذا ليس كلاما نطقه نحن بل قاله الانجيل قبل حوالي عشرين قرناً .. نجده في انجيل (برنابا) بالذات .. الذي تحرقه الصليبية اينما وجد .. الا يرعوي هؤلاء الجهة مما يقولون .. أم يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون .. ونقطة اخرى تؤكد ان مؤلف هذا الكتاب هو صليبي حاقد

وليس مسيحياً وهو ان احدا من المسلمين قديماً وحديثاً لم يجزؤ على الكتابة على المسيح (ع) ولم يتهم السيد المسيح (ع) بأنه محتال .. لماذا ؟ لأن الاسلام لا يقبل ذلك ولأن الاسلام يقول ان السيد المسيح من رسل الله فكيف يتجرأ انسان على الطعن في رسل الله .. ونقطة اخرى قد نضيفها ، ان الاسلام لا ينبت عند الانسان الذي يؤمن به هذا الحق الأعمى وتلك الغمامة السوداء التي تضلل الحقيقة ..

ثم نرى ان مخاوف الصليبية من الاسلام كبيرة ولو قرأنا النص التالي للمؤرخ البريطاني غييون لرأيناها أكبر وأكبر .. قال المؤرخ البريطاني غييون « لو لم تقهر المسلمين في معركة تولوز لكان القرآن اليوم يدرّس في اكسفورد » (١) .

ولماذا هذا التصور يا غييون ؟ .. يدرّس القرآن في اكسفورد !! لماذا ؟ .. قد تعلمون ان الاسلام دين علم يعتنقه العلماء قبل الجهلة والاذكياء قبل الاغبياء .. ولذلك كانت المخاوف تنحصر في امكانية كسب الاسلام لاعداد كبيرة من الناس في المناطق التي ينتشر نوره فيها .. فحاولوا قدر امكانهم تشويه صورة الاسلام الحقيقية في الغرب وذلك كخطوة اولى لفرض المناعة والحصانة الفكرية لدوائهم الذهنية .. وبعد ان تم لهم ما أرادوا حاولوا نقل المعركة الدائرة بين الاسلام والصليبية الى وطن الاسلام .. وفي هذه المرحلة بالذات بدأ العمل لفصل الاسلام عن الواقع .. وظن الصليبيون ان الاسلام صعد الى السماء وبقي الناس على الارض .. ولكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن .. فقد هوى الصليبيون وهم ذهول من هول المفاجئة التي هزتهم من اعماقهم وخلصت

(١) من محاضرة الصحفي الانجليزي « ارسكن تشيلدرز » بعنوان (صورة العرب في الغرب) ١٩٦٧ ويقصد بالعرب المسلمين .

قلوبهم .. فقد كان الاسلام اقوى مما يتصورون .. لقد انبثق الوعي الاسلامي وانتظم المسلمون الواعون تحت راية الاسلام في مناطق عديدة من ارض الله الواسعة .. هؤلاء المسلمون الواعون اليوم أشد خطراً على الصليبية من أية فئة أخرى في العالم ..

اما القومية فهي ترى ان التفاضل لا بد وان يكون بالجنس واللغة والدم ، لا بالتقوى ولا بالعقيدة .. فلو افترضنا ان شخصاً معيناً ينتمي الى قومية ما .. هذا الشخص هو فاضل .. لماذا ؟ .. لأنه ينتمي الى تلك القومية .. وهو لا حكم له في تكوينه القومي ولا ضابط .. وقد حاول الاستعمار والصليبية والتبشير جعل المفهوم القومي مقياساً عاماً للتفاضل البشري وذلك لابعاد الناس عن الدين وابعاد الناس عن تفاضل التقوى وتفاضل الايمان بالله والعمل الصالح من أجله ..

وقد اخطأ بعض الاشخاص في تصورهم عندما ظنوا ان القومية كمفهوم يساعد الاسلام في حل مشكلته الحاضرة .. واعتبروا ان عنصر اللغة والدم والعرق مقومات مساعدة لربط هؤلاء الناس برباط الاسلام .. في حين ان الاسلام كان يؤكد دائماً على لسان القرآن الكريم ولسان رسول الله محمد (ص) ما ينفي هذه الفكرة الخاطئة :

(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) قرآن كريم ..
(لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى) حديث شريف ..

فلو كانت فكرة القومية فكرة صائبة لقال الله سبحانه وتعالى وهو اصدق القائلين ان اكرمكم عندي هو اكرمكم تعصباً للقومية .. وان اكرمكم عندي هو اكرمكم عربية أو فارسية أو صينية .. لم يقل مثل هذا .. لأن هذا الكلام كلام البشر .. وفيه الكثير من الزيف والكذب .. ولكن انظر الى قول الله تعالى الصادق :

(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ..

.. اذن اكرم الناس عند الله هو اتقاهم .. ومقياس التفاضل هنا التقوى .. والانسان قادر على امتلاك هذه الصفة والتحكم بدرجةها ..

لأن التقوى درجة روحية وعملية تربط الانسان بالله سبحانه وتعالى
يستطيع ان ينميها ويصعد بها الى الاعلى بالروحيات في الصلاة والصيام
وذكر الله في الليل وبالاعمال الحياتية بصلة الرحم ونصرة المظلوم والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ويستطيع ان يصون هذه التقوى بالفكر
والتأمل ..

في حين ان القومية تؤمن بان مقياس التفاضل هو الجنس والعرق ..
والانسان لا يمكن ان يتحكم في جنسه او قوميته فليس له الخيار في
القومية الاوروبية او القومية الفارسية او القومية الصينية .. فكما
لا يستطيع ان يختار ابويه وهو في بطن امه لا يستطيع ان يختار قوميته
وهو كتلة من الخلايا الصغيرة في ذلك الدهليز المظلم الذي لا يربطه
بالعالم الحي سوى حبل يجري فيه الدم ..

والقومية عندما تكون بهذا الشكل من التقديس والتهويل تنبت في
نفس الانسان شعورا بالتعاضد واللامبالاة طالما ان عرقه وجمسه يشفع له
امام الحكام والطواغيت فتراه لا يعمل لأن قوميته تشبعه خبزا وتراه
يحترق عباد الله لان قوميته ارفع من قوميتهم وأزكى وتراه يكابر في الغلو
لان قوميته تمتلك مئات الملايين من البشر ولا اقول من الناس .. لان في
الناس من هم اكثر عقلا وحكمة من البشر ..

وقد درج بعض الكتاب على اعتبار مفهوم القومية دعوة تبشيرية لان
المستفيد الوحيد من جعل مقياس التفاضل (القومية) وليس الدين
والتقوى هي الصليبية .. وانا اقول ان هذا الرأي صحيح لحد ما لأن
الاسلام عندما كان يحكم الدولة بنظامه الخاص الفريد اجبر أهل الكتاب
على دفع الجزية لقاء حمايته لهم .. فشمع هؤلاء بدافع الغيرة والحسد
والحقد الذي استشرى في قلوبهم ان الاسلام يصنف الناس الى صنفين

الصف الاول وهم المسلمين والصف الثاني وهم اهل الكتاب .. ومعلوم ان المسلمين في وطنهم يمتلكون النظام السياسي والاجتماعي وهذا أمر طبيعي لان الاسلام يحكم في ذلك الوقت .. فأخذ هؤلاء الناس يتحرقون شوقاً لفكر جديد يمسح صورة الاسلام ويحط من المسلمين درجة ويرفع أهل الكتاب درجة فكان مفهوم القومية بعد المعاناة الشديدة مع انفسهم .. وكان الاسلام بفعل رسالته السماوية السمحاء يسمح لهؤلاء بممارسة الحرية الفكرية اينما شاءوا وبأية طريقة كانت .. وهكذا نشأت القومية وطبول الصليبية ومزاميرها لا تزال تطبل وتزمر لها لكونها فكرة تستطيع ان تشغل الاسلام الى حد ما بمعارك جانبية قد تلهيه عن معركته الاساسية ضد الجاهلية العاتية ..

وعندما استحدثت فكرة القومية كان الاستعمار يعرف ان هذه الفكرة لا تلبث ان تزول ولا تستطيع ان تصمد حتى في اكثر الاوساط جهلاً بالاسلام .. لذلك كانت ورقة القومية ورقة خاسرة اساساً بيد الاستعمار .. لكنها نجحت في بداية عهدها لأن ظهورها صادف ظهور اول بوادر الوعي الحديث للشعوب المتخلفة .. ولم يستطع الوعي الاسلامي الحديث امتصاص هذه الظاهرة لأنه كان وليداً ولأن الاستعمار والصليبية شاخت من التجارب التي خاضتها في حربها مع الاسلام ..

أما الصهيونية فلها مع الاسلام طريق آخر .. فقد استخدمت عنصراً مناوئاً للاسلام وحاولت ضرب الاسلام من خلاله .. استهدفت عنصر الاخلاق وأخذت تضرب به .. ونادت بضرب الاخلاق حتى تستطيع ضرب الحواجز التي تقف ورائه ... ومن ثم تستطيع ضرب كل المؤسسات التي تستند على الاخلاق للسيطرة على مقدرات العالم .. ولما كان الاسلام دين خلق وكان رسوله الكريم محمد (ص) على خلق عظيم فكان اول اصطدام للحركة الصهيونية مع الاسلام في دائرة

قد يتساءل البعض كيف حدث ذلك ؟

ونقول ان الاستاذ المسيحي الروسي سرجي نيلوس نشر في سنة ١٩٠٥ اول ترجمة فعلية لجزء من الأفكار والخطط الصهيونية ووسمها بـ (بروتوكولات بني صهيون) وقد انعكست آثار هذا العمل الذي هزَّ الأجيال الفكرية في العالم في حينها الى قيام الاصابع التي تعمل في الظلام بالتخطيط للانقلاب الشيوعي البلشفي سنة ١٩١٧ الذي أحكم القبضة الحديدية اليهودية على مسلمي ومسيحيي ما يسمى الآن بالاتحاد السوفياتي .. أحكم القبضة على المسلمين وترك الجبل غاربا لليهود .. ولما كان سرجي نيلوس مسيحياً فقد تصور ان كل الأديان هي المسيحية وان كل تجريح يوجه من الصهيونية للأديان انما يوجهه ضد المسيحية .. وقد اخطأ نيلوس في هذا التصور لأن الصهيونية كانت تعرف الاسلام جيداً وتعرف المسيحية جيداً أيضاً . فقد سعت الى ضرب الاسلام رغم معرفتها الجيدة بأن الاسلام جريح في تلك الحقبة الزمنية ، وقد ظنت انها تشارك في احتضاره ، فقد كان لليهود دور في الغاء الخلافة العثمانية ، وكان أحد الثلاثة الذين سلموا الخليفة قرار العزل يهودياً . وكان لنفوذهم في تركيا أكبر الأثر في طرح تركيا للدين الاسلامي وكذلك طرحت تركيا القوانين الاسلامية وحاربت اللغة العربية - لغة القرآن الكريم ، وتبرأت من صلاتها بالمسلمين ، لان اليهود ولا سيما « الدونمة » في سلانيك وغيرها - وهم يهود يتظاهرون بالاسلام - هم الداعون الى الجامعة الطورانية للتخلص من الاسلام واللغة العربية ، وكان لذلك أثره في ان اصطنع بهذه الألوان حكم مصطفى كمال الملقب أتانورك وقد كان فيه عرق من « الدونمة » (١) .

(١) للتوسع راجع كتاب بروتوكولات حكماء بني صهيون - محمد خليفة التونسي ، طبعة ١٩٧٢ .

ان الأفكار والخطط الصهيونية أخطر بكثير من أية أفكار أخرى ظهرت في القرون الأخيرة لكونها تستخدم اسلوب الموت لكل الأشخاص الذين تنسم فيهم بوادر الاصلاح والتدين والوعي بخطورة الفكرة الصهيونية اولا .. ولكونها تستخدم العنصر الاخلاقي في تمييع الثورة والشعور الديني الذي يشتعل في نفس المسلم وعقله وروحه ثانياً وذلك باستخدام عنصري المال والنساء .. وكما اغرى المال والنساء ضعاف النفوس ومنحلي العقيدة .. (وويل للرجال من النساء) حديث شريف .. والانسان المؤمن الصابر يستطيع ان يتجاوز هذه المرحلة الملتهبة بعدم الاختلاء بالمرأة «لاجنية حيث نستمتع الى عمر بن عبد العزيز وهو يقول : « لا تختلي بامرأة حتى وان كنت تحفظها القرآن » .

ونستطيع ان نستقرء الفكر الصهيوني من خلال النقاط التالية :

أ - لليهود خطة للاستيلاء على مقدرات العالم عن طريق ضرب الاسلام والمسيحية والأديان الأخرى ووسيلة ذلك هو استخدام عنصر المال والنساء او الموت لتنفيذ هذه الغاية .. وقد بدأت بالغرب والشرق فأحكمت قبضتها على وسائل الاعلام وقبضت على زمام السياسة العالمية من وراء القبض على زمام الصيرفة .

ب - العمل في الظلام للاتيان بنظم سياسية تعمل ضد مصالح الامم وبذلك تزيد الشقة بين الامة وولاية الامور مما يجعل التلاعب بمقدرات الامة ميسورا .

ج - اثاره النمرات الطائفية وحروب الجار على الجار .. لبعده الانظار عن محاربتها السافرة للاسلام .. واضعاف شوكة الاسلام حتى وان كانت الدول التي تتحارب لا تنقيد بتطبيق الاسلام ..

د - يتصور اليهود ان وسائل الاعلام من طباعة ونشر وصحافة

ومسرح وسينما ووسائل التربية من مدارس وجامعات ودور علم والقوانين والمضاربات يجب ان تبقى ورقة رابحة يدهم الى ان يشاء الله فينتزعها منهم بالقوة ..

٥ - دراسة موقع الاسلام من التيارات المعاصرة ووضع تقييم موضوعي لوضع الاسلام الحاضر .

بعد ان اتهمنا من دراسة التيارات الفكرية المعاصرة بصورة مختصرة ندرس الآن موقع الاسلام من هذه التيارات ، وبصورة عامة أين يقف الاسلام ؟

ان الأفكار القومية والماركسية والشيوعية والصهيونية والصليبية والرأسمالية والميكافيلية والوجودية تتعارض اساساً مع الفكر الاسلامي .. ففي الوقت الذي تدعو فيه القومية الى التفاضل على أساس اللغة والعنصر والدم (الجنسية) يدعو الاسلام الى التفاضل على أساس التقوى :

(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وفي الوقت الذي تدعو فيه الماركسية الى انكار وجود خالق لهذا الكون وتدعي اثبات الحركة الذاتية للمادة ، يدعو الاسلام الى توحيد خالق هذا الكون ، خالق هذا الكون آله واحد ازلي ليس قبله ولا بعده احد وان المادة حادثة وليست ازلية . وتدعو الشيوعية الى اهدار حقوق الفرد اهداراً فاحشاً وتقديس حقوق الجماعة في حين يدعو الاسلام الى الموازنة بين حقوق الفرد وحقوق الجماعة ، حيث تنتهي حرية الفرد عندما تبدأ حرية الجماعة . اما الصهيونية فنظرتها الى الحياة لا اخلاقية في حين ان الاسلام أكد على الاخلاق وجعل المفهوم الاخلاقي اساساً لمستوى تدين المسلم وقد خاطب الله تعالى رسوله الكريم محمد (ص) : « وانك لعلى خلق عظيم » وقال رسول الله (ص) : « اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » . والصليبية ليس لها فكر يمكن ان يصمد امام الاسلام ، الا انها تستخدم اسلوب

الانتفاف تارة والاسلوب اللا اخلاقي (الفساد والنساء والاباحية) تارة أخرى . اما الرأسمالية فقد فشلت حتى في تثبيت أية ركائز نظرية لمفاهيمها لذلك نرى انحراف الشباب الفكري في البلاد التي تحكم سيطرتها فيها عن الفكرة الرأسمالية وتخليهم عن مضامينها وأهدافها ، وذلك لكون ان الفكرة لا تعطي مفهوماً فلسفياً لنظرتها عن الحياة والكون والانسان . اما الميكافيلية فقد دعت صراحة الى نبذ الاخلاق من الوجود . ويقول ميكافيلي صاحب كتاب الامير The Prince : « يجب فصل السياسة عن الاخلاق » ، ويسوّغ ميكافيلي في كتابه هذا مبادئ الحكم المنافية للاداب الانسانية ، وهو الذي استحدث مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » . والسياسة التي تستخدم هذه (الحكمة) هي سياسة ميكافيلية .

اما موقف الاسلام من هذه الفكرة فهو موقف صريح وواضح . فاهدافه في الحياة ثابتة . لا تتأثر بوسيلة ولا تحيد بواسطة ، كل شيء في الحياة الدنيا واضح له وللإسلام موقف معين . والسياسة الاسلامية سياسة تقوم على الاخلاق ، والمبدأ الاخلاقي في الاسلام مبدأ سامي . الامام علي (ع) عندما كان اميراً للمؤمنين كان يختلي بنفسه ليلاً ويكي وهو يقول : « يا دنيا غري غمري » . وعندما فتحت بلاد العراق في زمن احد الخلفاء المسلمين أتى رجل على الخليفة وبين يديه سوادي كسرى وسلمها الى الخليفة . فما كان من الخليفة الا ان ارسلها الى بيت المال . . . أبعد هذه الأمانة امانة ؟ . . . وبعد هذه الاخلاق السياسية اخلاق ؟ . كان باستطاعة ذلك الرجل ان يبيع الاسورة ويصبح أكبر مليونير في العالم وكان بإمكان الخليفة ان يعتبرها هدية يتزين بها . . . فهل حدث من هذا شيء . . . ؟ فأين الاسلام من الميكافيلية . . .

اما الوجودية فهي حركة تعبر عن ضياع الانسان الاوربي في خضم الصراعات الفكرية الكبرى وتفقيشه عن فكر جديد يرقع به افكاره في

الرأسمالية والديمقراطية وذلك باستحداث (فلسفة) له في الكون
والحياة والانسان .

والوجودية والماركسية فكرتان كان للصهيونية في تطويرهما دور
كبير .. لذلك نراهما اكثر محاربة للاسلام من أية افكار اخرى .

موقف الاسلام من هذه الأفكار واضح كما رأينا .. وبحكم قوة
هذه التيارات من الناحية المادية اولا وتعددتها من الناحية العددية ثانياً
واتسارها على مستوى العالم ثالثاً فاننا نرى مدى بلاغة الجرح الذي
أصاب الاسلام وتعدد الطعنات التي اغرقتها خناجر الفئات الصليبية
والصهيونية والشيوعية في قلب الاسلام الجريح ..

ففي الوقت الذي يدعو فيه الغرب الصليبي الى ضرب الاسلام بفتح
المدارس التبشيرية واحكام السيطرة على وسائل النشر والطباعة
من صحف ومجلات وكتب ثقافية وتربوية ، والبأس حالة الانحلال الخلقي
لباساً براقاً من التقدم والتطور .. نرى ان الشرق الماركسي يضرب الاسلام
من الناحية الفلسفية والعقائدية وذلك بتفريغ المفهوم الفلسفي الانساني
من محتواها الاقراي بالله وجعل الشرك بالله او نفي وجوده قسمة من
الفكر ، وقد تغلغت الفكرة الماركسية في اذهان عديد من الناس لكون
الفترة التي انتشرت فيها هذه الفكرة هي فترة ظهور الوعي السياسي
والاجتماعي للامم المتخلفة التي ما برحت تبحث عن اسباب تخلفها
وانحطاطها عن الركب العالمي السائر نحو المدنية والحضارة الكبرى ..
وقد كان أقطاب الفكر الماركسي يعيدون النظر ثاقبي الفكر ، فاستغلوا هذه
الفترة الذهبية التي تمر بها الامم المتخلفة وهي نادية حظها على ما فرطت
في تخلفها ، فاستشعروا مشاكلها ودرسوا نفسياتها .. وقد كانت الامة
بحاجة الى من ينقذها من تخلفها الاقتصادي ، فنادوا بالاقتصاد الماركسي
كحل ناجع لمشكلات العصر طالما ان هذا الاقتصاد يمكن ان يوفر الخبز

والجنس للبشر (ويعرهم الحرية والكرامة) .. واستشعروا حاجة الامة الى من يتشلها من هوة التخلف الحضاري ، فنادوا بالمكتنة الزراعية ولأسس الحديثة للانتاج الصناعي .. وكان تخلف الامة من الناحية الفكرية لا يمكن ان يوصف بجرة قلم ، فنادوا بالفكر العلمي كوسيلة لحل المشكلات الحضارية الكبرى .. لقد كانت الامة الاسلامية متخلفة الفكر وبين يديها القرآن العظيم والفكر الرسالي .. لماذا ؟ لأنها وضعت القرآن والفكر على الرفوف وفي المكتبات المغلقة ، واستمتعت بمشاغل الحياة فكانت متخلفة .. وهي الى هذه المرحلة متخلفة لأن ما يقرأ من الكتب لا يوازي عشر ما تقرأه أخط الامم تخلفا على الارض .. ولأن ما يطرح من فكر على هذه الامة أقل ما يقال عنه انه ليس بفكر بل حثالات الفكر .. والاسلام وفكره غريب في هذه الامة .. قد تعجب لظهور كتاب يتحدث عن الاسلام ولا تعجب ظهور مائة كتاب يتحدث عن الامبريالية والادب الشمسي والحب ونافذة على الغرام وقولوا له انها تحبك وأسس الشطرنج ومقومات النرد والامثال البغدادية والتراث الشعبي .. وتراثنا الاصيل مفقود .. تراثنا مفقود لأن الأيدي التي تعمل في الظلام بيدها كل وسائل الاعلام ويدها (المفكرين) المأجورين ويدها (الأدباء) المرتزقة .

ان كان الاسلام جريماً فقد علمنا رسول الله كيف نداوي الجرح .. وعلمنا الرسول ان الاسلام جاء غريباً وسيعود غريباً قطوبى للغرباء .. ان الجرح بقدر ما يولد الالم والمرارة يولد معهما الشعور بالاصرار على تحدي الواقع وعلى تشخيص الذين يطعنون .. ويولد معهما الشعور بالثورة على الجاهلية المنغمسة حتى اذنيها بالشرك والوثنية ..

ان مواقع الاسلام كثيرة في الغرب والشرق وفي كل انحاء العالم .. وقوة موقع الاسلام تكمن في قوة اشخاصه الفكرية والعقائدية وشفافية

الروح التي يمتلكها هؤلاء الأشخاص .. فنرى انه في الوقت الذي يهبط فيه المستوى الاسلامي (ونقصد به الفكري والروحي والمقائدي والتطبيقي) في البلاد التي تدعي الاسلام وينطق اهلها بالعربية نراه يرتفع هذا المستوى ارتفاعاً شامهاً في بلاد مسلمة لا تتكلم العربية كالبابكستان واندونيسيا مثلاً .. ونرى هذا المستوى يرتفع ايضاً في بلاد لا هي مسلمة ولا هي تتكلم العربية .. مجرد وجود اشخاص مثقفين يطبقون الاسلام على انفسهم أولاً ويشعرون بفربتهم وغربة الاسلام ثانياً جعل من هذه المواقع سدوداً حصينة للاسلام وأمثلة حية لمدى واقعية الاسلام .. هذه البلاد كانت في يوم ما من أكبر معاقل الاستعمار ... وهي الآن تنوء بحملها الاقتصادي الثقيل ..

ولو استقرئنا الواقع لرأينا كيف ان الاسلام اتشر في افريقيا وآسيا .. ذلك الانتشار الذي أربح العدو فحاربه ، وكيف استمات المسلمون في تلك الاصقاع في الدفاع عن عقيدتهم واسلامهم وهم عزل من السلاح .. وحروب التحرير الاسلامية لا تزال تستمر في بقاع شتى من ارض الله ..

انه الاسلام الذي يصنع من البشر ملائكة ويخلق كما يقول شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال « في جسم الحمام الرخو قلب الصقور والاسود » . فسلح الاسلام الاول هو الايمان .. به يحارب وبه ينتصر وبه يكسب الناس وبه يقيم دولة الحق على ارض الله .. والايمان بشيء قد يكون لنا معه كلام .. اما الايمان بالله فلا يعبر عنه كلام .. ولا تصفه جرة قلم .. فهو وان كنا نقول انه تعبير انساني طبيعي لمخلوق صغير امام خالقه الكبير .. وهو فيض من الشعور يستملك الانسان وهو في أوج فضوجه المقائدي والرسالي .. وهي اشواق عليا تربط الانسان بخالقه بحبل روحي متين .. الا اننا لا نستطيع ان نستوعبه من خلال القراءات

والمناظرات .. قد تكون هذه الوسائل عمليات مساعدة .. لكنها في الحقيقة ليست هي جوهر الايمان .. فلو تسائل متسائل ما هو الدافع الذي يدفع الانسان في ان يضع رجليه فوق منصة الاعداد باختياره .. وأقول باختياره لأنه مؤمن بأن الله واحد ووصل الى منصة الاعداد لأنه قال جهرة ان الله واحد لا شريك له .. وقالوا له اما ان تحيد واما ان تقتلك فقال اقتلونني لأرى ربي وأنا مظلوم .. فلو تسائل ذلك المتسائل لماذا يموت الانسان في سبيل الله وهو مطمئن البال مرتاح الضمير .. يموت وهو هكذا لأنه مؤمن وفي قلبه فيض من الايمان بالله وفي روجه شفافية توصله بالله العزيز القدير وفي عقله فكر لا يتبدل وعقيدة لا تتزعزع ..

يقول رسول الله (ص) عن الايمان .. ان الايمان هو :

« ان تؤمن بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » .
وقال (ص) : « ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد رسولا » .

ان الاسلام الذي صنع من البشر اناساً بهذا الشكل قادر على مقارعة الطواغيت والجبابرة وقادر على محاكاة الشعوب والامم المتخلفة منها والمتقدمة .. فمقارعة الطواغيت والجبابرة امر يستوجب وجود عناصر ثورية مثقفة تؤمن بأن الجهاد بالسلاح والكلمة مفهوم اسلامي قبل ان يكون مفهوماً لجيفارا وهوشي منه . والله يقول في كتابه الكريم :

« يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انما قلتم الى الارض ، ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل » التوبة : ٣٨ .

وعاقبة التقاعس عن الجهاد في الاسلام هي قول الله تعالى :
« الا تنفروا يعلبكم عذابا ليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تفروه
شيئا » التوبة : ٣٩ .

اما محاكاة الشعوب والامم .. فواجبنا امامها بعد ان نحاكمي انفسنا
هو ما يلي :

١ - عرض الاسلام عرضاً مبسطاً مفهومًا بعيداً عن العاطفة .. وهذا
يتم بعد دراسة وتخطيط مسبق .. حيث يجب على العارض ان يلم بلغة
تلك الامم والشعوب الماماً شاملاً حتى يعرف من اين يبدأ واين يقف ..
وان يستخدم في مخاطبة تلك الشعوب الكلمة المسموعة والكلمة المكتوبة حيث
ان تأثيرها على الامم بليغاً . يقول بعض رجال الاعلام انه ليس المهم ان تنقل الفكر
على الامم بليغاً . يقول بعض رجال الاعلام انه ليس المهم ان تنقل الفكر
والاعلام الى شخص آخر او طرف آخر .. انما المهم ان تعرف طريقة
تحويل الافكار الى لغة او شعور يفهمه الطرف الآخر .. فلكل امة تعبيرها
الخاص واختباراتها الخاصة في الحياة ولكل امة خلفيات تاريخية ورواسب
اجتماعية .. ولا يمكن ان تتشابه اثنان في كل شيء ابداً .. فللأمة
الاسلامية مقوماتها وأسسها الفكرية والعقائدية ، وللأمة الجاهلية (اذا
وجدت هذه الأمة التي تؤمن بهدف واحد) مقوماتها وأسسها .. ولا
يمكن ان يلتقيا ابداً ..

اذن لا بد من دراسة الطريقة الصائبة التي يجب ان يتخذها الانسان
أساساً في عمله لتحويل الفكر الاسلامي الى لغة تفهمها تلك الأمة ..
فمثلاً اذا حاولنا لقاء محاضرة سياسية عن الاسلام أو اذا اعدنا كتيباً
اعلامياً او بحثاً تسجيلياً او مقالة لصحيفة اجنبية ، او اذا صنعنا فلماً
اعلامياً عن الاسلام وجب قبل أي شيء آخر صياغة هذه المواد كلها صياغة
جيدة بلغة الأمة التي سيعرض عليها هذا الاتاج وبأسلوب منسجم الفكر
الاسلامي فيه مع منطق تلك الأمة التي تؤمن بالعلم طريقاً واسلوباً في الحياة

فان الإسلام يؤمن بالعلم ولكنه لا يتخذ العلم آلهاً يعبد او اسلوباً يحتذى .. وان كانت الامة تقدر فرج المرأة (اليابان) فان الاسلام يقدر ما هو اسقى وأرفع من ذلك .. يقدر الذي خلقنا من عدم .. يقدر الذي خلق السموات والارض في ستة ايام .. يقدر الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .. واذا كانت الامة تفوص في الجاهلية حتى أذنيها : حيث الربا والزنا والفجور والكذب والغش والخداع .. فان منطق الاسلام وهدفه هو انتشار هذه الامة من مزالق الربا بالعدل الاجتماعي وزكاة المال ، والزنا بالزواج وبناء الاسرة السعيدة ، والفجور والكذب والغش والخداع بالتقوى والصدق والامانة والصراحة ..

يقول بعض المفكرين ^(١) انه من الخطأ قلع الرواسب الذهنية والنفسية عند الامم والشعوب مرة واحدة ، وقد يكون هذا القول صائباً اذا كانت العملية عملية ترقيع ، اما اذا كانت العملية عملية تشوير فان المسألة هنا تختلف ولكن اختلافها لا يعني ان الاسلام يجب ان يوضع مرة واحدة في ذهن الامة ..

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً) الفرقان : ٣٢ .

ولكن الاسلام عندما يعرض عرضاً شاملاً فان هذا العرض كافي لأن يخلق عند الانسان المتحرر من الرواسب الوثنية ، يخلق عنده شعوراً بالايمان بالله وبالندم لما فرط في جنب الله .. وهذا الشعور قد يتبلور الى ايمان حقيقي اذا توفرت أمامه بعض الجوانب التطبيقية الحية للإسلام .. وهذا الموقف قد يبدل حياته تبديلاً تاماً ويغيره تغييراً شاملاً .. فيستزح ثوب الجاهلية

(١) تخطيط الاعلام العربي - عقيل هاشم ١٩٦٨ .

ويغتسل غسل الايمان ويلبس ثوب الاسلام .. كما حصل للكثير من
الوثنيين والمسيحيين .

٢ - تحويل المبالغ التي تصرف في غير موضعها الى صندوق خاص
ينشأ لهذا الغرض ويسمى بصندوق الاعلام الاسلامي مهمته تقييم وطبع
الكتب الاسلامية والاشراف على تصديرها وتوزيعها في كل انحاء العالم ،
وباسلوب متقن وبلغه يفهمها عباد الله في تلك البلاد ..

وان كان بعض الناس يتصورون ان هذا العمل صعباً ان لم يكن
مستحيلاً ، فهم ليسوا على صواب لان الاموال التي تصرف على تصدير
كتاب اسلامي بالفرنسية او الاسبانية مثلا افضل بكثير من صرف الاموال
الطائلة على مهرجان شعري او ندوة أدبية تبدأ وتنتهي ، والحاضرون
ينتبهون مع نهاية الندوة والمهرجان .. وان ارسال القطع الفنية الاسلامية
الى دولة ما لا يخدم الاسلام بشيء .. لاننا بحاجة الى فكر نطلع به الى
العالم .. ونحن بحاجة الى ثقافة وعلم وتحليل وتشخيص .. وحل
فلسفي لمشكلات العالم الكبرى .. ان العثور على القطع الفنية لا يعني
اننا متحذرون الآن .. ان من الواجب علينا ان نهتم بالفكر والعقيدة
قبل ان نهتم بما خلفه السابقون من مواد .. اخرى بنا ان نهتم بما خلفوه
من فكر وعلم .. انها ليست مفخرة .. فالمفخرة من خلف علماء وهو من
العباد الصالحين عند رب العالمين .. المفخرة ان يقف الانسان امام رب
العالمين ويقول : رب ارحمني فقد جاهدت في سبيلك بالكلمة والحرف ..
وقنت في سبيلك .. وليس لي أحد يرحمني غيرك يا رافع السماء بلا
عمد ..

(فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم * والذين
سوءوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم) الحج : ٥٠ - ٥١ .

٣ - النظر في امكانيات تجميع وتوحيد العناصر المؤيدة للاسلام

في حركات ومنظمات ثورية وثقافية وسياسية تجمع الطلبة والشباب المثقف
في جميع انحاء العالم .

وقد ذكرنا سابقاً ان للاسلام مواقع في جميع انحاء العالم .. وان
هذه المواقع تختلف قوتها باختلاف قوة اشخاصها الفكرية والروحية
والعقائدية .. والاسلام عندما ينبت في قلب الانسان فانه يزرع في عقله
شجرة التنظيم .. لنرى كيف يحدث ذلك ؟ .. لناخذ مثلاً الصلاة .. ان
الصلاة باوقاتها الخمسة تجعل يوم الانسان المسلم مقسم الى خمس
اوقات .. الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء .. فهو يصلي الفجر
ويقراء قرآن الفجر لأن قرآن الفجر قرآن مشهود
(ان قرآن الفجر كان مشهوداً) الاسراء : ٧٨ .

ثم يعمل عمله الاعتيادي الذي هو مصدر رزقه ثم يصلي
الظهر ويرتاح قليلاً لبدأ العمل ثم يصلي العصر ويرتاح ويقراء ثم يصلي
المغرب ليرتاح ويأكل ثم صلاة العشاء .. وترك الليل مفتوحاً (نافلة)
فمن شاء تهجد في الليل وأجره عند الله اعظم
(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً)

الاسراء : ٧٩

.. فالיום مقسم ومنظم ومبرمج عند الانسان المؤمن بالله ..
فهو بدأ بتنظيم نفسه قبل تنظيم مجتمعه .. ولناخذ صيام
رمضان ... ان المؤمن على موعد كل عام مع رمضان حيث
تفتح ابواب السماء وتقبل التوبة ويستجاب الدعاء وتغفر الذنوب ..
ولما كان العمل العبادي في الاسلام على هذا الشكل من البرمجة
والتخطيط .. فان العمل الاعلامي (الدعوة الى الله) لا بد ان يكون
أكثر تخطيطاً وبرمجة .. ولما كان العمل الجماعي افضل وأكثر اتاجية
من العمل الفردي فقد كان الاسلام يدعو المسلمين للعمل الجماعي
وبوجوب مصاحبة الجماعة .. ولما كان الاسلام اكثر ما يعيش وينتشر في

الايواسط وبين الشباب المتحمس التأثير .. فان هذه العناصر الاربعة ..
البرمجة والجماعة والعلمية والتجديدية كافية لان تجعل من الاسلام قوة
ثورية هائلة تكتسح كل الهياكل الجاهلية التي تعبد الانسان وتحطهما
وتقيم على انقاضها دولة الله في الارض ..

ومن هنا كانت الضرورة لاقامة الائتلاف الاسلامي بين الشباب
المثقف المؤمن بالله في المجتمعات الكافرة بالاسلام .. وهذا ما يجعل العمل
الاسلامي أكثر تنسيقاً وأكثر فاعلية ..

هذه النقاط الثلاثة قد تكون مهمة في عملية دعوة ومحاكاة الامم
الى الله ..

٦ - دراسة الاسلوب الافضل للاعلام الاسلامي الحديث .

نأتي الى النقطة الاخيرة من النقاط الست التي ذكرناها سابقاً وهي
دراسة الاسلوب الافضل للاعلام الاسلامي الحديث .

ان الاعلام بمفهومه الحديث اتخذ بعداً سياسياً خطيراً واصبح
علماً يدرّس في الجامعات قبل ان يطبق على عباد الله .. واصبح فناً
تصاغ اشكاله وتنتقى ألوانه قبل ان تسقط عليه انظار الناس فيجتذرها
اجتذاباً .. واصبح الاعلام يشكل جزءاً كبيراً من وقت الانسان .. فهذا
الانسان يقرأ الصحف ويتصفح المجلات ويستمع الى الاذاعات الصوتية
والمريئة ويحضر المهرجانات الادبية والشعرية ويدخل دور (السينما)
والمسرح .. ويقرأ الكتب والموسوعات .. في كل مادة من هذه المواد
يتنشر المتنعمون والمأجورون وطالبي الوجاهة ، وعناصر التخريب الفكري
والروحي والذين يتصيدون في الماء العكر .. وتجد في بعضها (وهم
قليل) من وضع خوف الله في تصوره .. واتخذ الاسلام ديناً .. وجاهد
بكلمة الحق المبين وشهادة النور اليقين ..

فمنهم من قضى نجه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً - الاحزاب : ٢٣ .

وكمدخل لدراسة الاعلام الاسلامي لا بد لنا من تحديد نقطتين :
النقطة الاولى : هي ان الاعلام الاسلامي يستند على ثلاث ركائز اسلامية نستقي منها مفهومنا الاعلامي .. القرآن الكريم واحاديث الرسول (ص) ، ثم احاديث الائمة (ع) والصحابة رضوان الله عليهم التي هي امتداد لمصدري التشريع والفكر (الوحيدين) القرآن والسنة ..

النقطة الثانية : طالما كانت الركائز ثابتة فان وسيلة البناء قد تتغير من اسلوب لاسلوب ومن عصر لعصر ومن شخص لآخر وهذا لا يضير الركائز التي سحبتها على هذا الاعلام .. فالوسائل تتبدل وتغير ، لكن المبدأ والعقيدة ثابتان في القلب والعقل والشعور ولا يتزعزان ..

ولنأخذ النقطة الاولى في دراسة الاعلام الاسلامي وهي الركائز .. وفضل هذه الركائز وازكاها هي كلام الله سبحانه وتعالى ومن احسن من الله قила لقوم يفقهون .. يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

(وانسر عشرك الاقربين) الشعراء : ٢١٤ . ويقول تعالى :
(والذين جاهدوا فينا لنهاينهم سبلنا .. العنكبوت : ٦٩ - ويقول ايضا :
(نحن اعلم بما يقولون ، وما انت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) سورة ق : ٤٥ . ويقول تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) النحل : ١٢٥ .

فالامر الالهي هنا هو الدعوة الى الله .. والدعوة الى الله لها أسس انذارية او تربوية .. وتتحدد هذه الاسس عندما تتحدد البيئة التي ندعو بها الى الله .. فالانذار للعشيرة الاقربين الذين يعرفون الدعوة ويفهمون الدين ولكنهم يعرضون عنها كبراً وغطرسة .. والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة عندما يتطلب الامر دعوة تربوية للذين يفهمون منطق الحياة .. وقوله تعالى :

(نحن اعلم بما يقولون ، وما انت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) هي تبليغ صريح للانسان المسلم بوجود الدعوة الى

الله ... ولم يشترط الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة استجابة الطرف المقابل لان الذي خلق النفس البشرية قادر على استقراء بواطنها الخفية .. ومداخيلها المجهولة .. فعندما يكتمل عنصر التبليغ لا يعني ان عنصر الاستجابة قد تم أيضاً .. لأن النفس البشرية امارة بالسوء ، والنفس مجبولة بالفجور والتقوى .. فمن شاء استخرج الفجور وبلور التقوى .. ومن شاء دفن التقوى وغرّته الأمامي فخر الدنيا والآخرة (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها) .. والنتيجة (قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) .. الشمس : ٧ - ١١ .

ان القرآن كتاب رسالي يدعونا الى تبليغ اسى رسالات السماء الى البشر جميعاً .. وقد حدّد القرآن الهدف وضمنه الحكمة والموعظة والجهاد القتالي وترك لنا الاسلوب الذي يتلائم مع المصور .. ففي زمن الصحف والمجلات والتلفزيون جاز لنا ان ندعو الى الله بهذه الوسائل التي اصبحت عناصر مهمة في حياة البشر .. وفي زمن الكلمة المنقولة يوم كانت الكلمات تكتب بشق الأنفس على جرائد النخيل وجلود الغزلان كان لنا ان ندعو الى الله بالسنتنا ومنطقنا وكان لنا ان نجوب في الاقطسار ونسيح في الامصار داعين الى الله الواحد القهار ..

فالاسلوب الاعلامي مفتوح .. اما الهدف والمبدا فلا بد ان نعرف من أين نبدأ وأين ننتهي ..

والقرآن هو كتابنا الاول في التنظيم والبرمجة والتخطيط .. ولا عجب فهو كتاب الله الذي بنى الكون وخطط الحياة بستة أيام ثم استوى على العرش ..

وثاني الركائز احاديث وسلوك الرسول الكريم محمد (ص) ...

يقول الرسول الكريم (ص) بشأن الشائعات وضرورة دحرها :

(كفى بالمرء كذبا ، ان يحدث بكل ما سمع) (١) .

ويقول (ص) :

(امرت لاخاطب الناس على قدر عقولهم) .

ويقول (ص) :

(الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها) .

ويقول (ص) أيضا :

(خنوا الحكمة من اى وعاء خرجت) .

... وهذه الأحاديث على قلتها كافية لاعتائنا تصور

اسلامي عن مفهوم الاعلام .. فمخاطبة الناس على قدر عقولهم وعلى اساس مستواهم الفكري موضوع جدير بالدراسة .. فالداعية المسلم يجب ان يكون قادرا على التصرف باللغة التي يتكلم بها اهل البلاد في اللقاءات والمناقشات التي تعقد في تلك البلاد .. وان يكون قادرا على الاقناع بالنطق الهادىء الذي تقبله كل العقول ويعمل على تدعيم حججه بالوثائق والحوادث بتفاصيلها وتواريخها وارقامها دون الرجوع الى الورق اذا أمكن . يضاف الى ذلك ميزة مهمة أخرى هي القدرة على التفريق بسرعة بديهية بين الموقف التي تستدعي هجوماً والمواقف التي تستدعي تراجعاً مرحلياً (تكتيكياً) لابقاء المستمعين في قبضته وتحت تأثيره ..

والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها .. والبحث

عن الحكمة يجعل الانسان على اتصال دائم بالفكر .. ويقوده هذا الاتصال الى الاتصال بالله تعالى .. ويقوده الاتصال بالله تعالى الى ترسيخ ايمانه وجعله في بجوحة من الروحانيات وفي رغد من الاطمئنان القلبي الذي لا يجده في أي مكان في العالم الا في قلبه ..

هذا هو الطريق الذي يحدده لنا رسول الله محمد (ص) في توجيه

الاعلام والدعوة الى الله ..

(١) بغية كل مسلم من صحيح الامام مسلم ، المراكشي ١٩٦٩ .

والركيزة الثالثة : أحاديث الأئمة (ع) والصحابة رضوان الله عليهم .
ليقول الامام علي (ع) :

« من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره .
وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلم نفسه ومهذبها احق بالاجلال
من معلم الناس ومهذبهم » .

ويقول الامام جعفر الصادق (ع) وهو يخاطب دعاة الاسلام :

« كونوا لنا دعاة صامتين » ويقصد الامام بالدعاة الصامتين .. الذين
يعملون اكثر مما يتكلمون والذين يفعلون اكثر مما يقولون .. والذين
يجسدون الاسلام بسلوكهم وتصرفاتهم لا بأفواههم وبالستهم .. هؤلاء
هم الذين وصفهم القرآن بعباد الرحمن .. الذين يمشون على الأرض
هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ..

النقطة الثانية في دراسة الاعلام هو الاسلوب والوسيلة ..

والاسلوب يتدخل في تحديده شيان الوسيلة والشخصية .. والوسيلة
تلعب دوراً فعالاً في ايصال الاعلام والفكر الى الناس .. وتختلف الوسيلة
من عصر لآخر .. فقد كانت في زمن الرسول (ص) تعتمد على الانسان
بصورة كاملة في نقل الاعلام والسعوة الى الله .. وذلك لعدم وجود
الاجهزة الالكترونية الحديثة في ايصال الاعلام الى عباد الله الصالحين
منهم والمفسدين ..

والانسان المسلم في تلك الحقبة الزمنية كان يمتلك الشخصية التي
تؤهله لتغيير العشرات من الجاهليين .. وشخصية المسلم تعني : سلوك
حسن .. اخلاص في النية .. تأدية في العبادات .. قيام في الليل ، حل
لمساكن الناس ، بعد في النظر ..

وتغيرت الوسيلة تغيراً كاملاً .. ولكن الانسان لم يتغير .. ولو
تفحصنا الفقرة التالية لرأينا كيف ان الانسان لم يتغير ..

« حاولت بعض الدول الاستفادة من العقل الالكتروني في ترجمة نشرات الأخبار ، وتمت الترجمة فعلا من كافة لغات العالم الى لغة هذه لدولة على الآلات اللاقطة . ولكن ثبت ان هذه الترجمة لم تكن مفيدة بالقدر المطلوب ؛ وكان لا بد من الاستعانة بالعنصر البشري لتصحيح الترجمة . وبذلك اصبحت النتيجة ان العقل الالكتروني لا يصلح للترجمة الدقيقة وخاصة في المواد السياسية التي تغير كلمة واحدة منها كل مفهوم الخبر ، وتقلب نظام الدول » (١) .

اذن فالعنصر البشري مطلوب في كل الحالات بغض النظر عن وجود العقل الالكتروني او وجود التصوير الفوتوغرافي للصحف او وجود الاتصالات السلكية واللاسلكية او وجود الأجهزة الالكترونية المعقدة . . . الموضوع هو ان الوسيلة لا تتكامل بدون وجود الشخصية . . . مستقلة ، كانت تعمل في السابق بقوتها ولا تستعين بالوسائل . . . وجاء زمن الوسائل وبقيت الشخصية محتفظة بحيويتها وهيبتها . . . فالانسان شيء والأجهزة الالكترونية شيء آخر . . . الانسان يمتلك نشاطا حيويا بيولوجيا لا يوجد له مثيل في أي جهاز الكتروني . . . والانسان يمتلك شعورا داخليا لا يوجد له نظير في الآلات ومكبرات الصوت . . . والانسان يمتلك احساسا باطنيا له قدرة الايماء للعقل بالهجوم والانسحاب لبقاء الطرف الآخر في قبضة ذلك الانسان . . .

ان اتقاء وسيلة اعلامية حديثة وربطها بشخصية قوية ذو هدف وتأثير ؛ كفيل بجعل الاسلوب الاعلامي اسلوب كهو يستطيع مجابهة الحاضر بكل رواسته ومشاكله ومساوئه . . . وربط الحاضر بالماضي تخطيط ينبع من صلب الاسلام . . . لان الماضي يعني الاسوة الحسنة

(١) الاعلام والدعاية - محمد عبد القادر حاتم .

واستلهام العبر واستقراء التجارب ، ولأن الحاضر يعني ان الانسان لا بد وان يعيش يومه .. يعمل ويدعو ويعبد .. فان زمن الابراج العاجية وزمن سراديب المفكرين قد انتهت وان العالم الآن يمشي الواقع والموضوعية .. ولا يمكننا فهم الواقع اذا نزلنا الى سراديب المفكرين أو اذا صعدنا الى ابراجهم العاجية .. لان فكرنا .. فكر معاناة وألم .. فكر جرح ومأساة .. فكر ثورية وعمل .. هذا الفكر بحاجة الى ان يكون موضوعياً وواقعياً أكثر مما يكون سلماً للصعود ..

الفكر الجريح يستطيع النفوذ الى القلب والعقل .. وتقول جريح لأنه عانى كثيراً من الضربات .. وكان أقوى منها جميعاً فصمد واقتصر وصبر فظفر ..



(٢)

هناك من يلخص المفهوم الاعلامي العام بالسلسلة الاعلامية المترابطة .. والسلسلة الاعلامية الاسلامية تتكون من الحلقات التالية :

١ - رجل الاعلام الاسلامي .

٢ - الفكرة الاسلامية .

٣ - وسيلة الاتصال .

٤ - المرسل اليه .

٥ - التأثير .

٦ - المؤثرات .

٧ - السلوك أو رد الفعل .

ونأتي على هذه النقاط بالشرح والتفصيل ..

١ - رجل الاعلام الاسلامي :

تناولنا هذا الموضوع في مواضيع مختلفة من هذا الفصل .. ولكننا لا ندع هذا الموقف يمر دون تعليق .. هناك أربعة سمات المفروض ان يتسم بها رجل الاعلام المسلم وهي : الشورية .. العقيدة .. التفكير والروحية .. تكريس مجمل الحياة من اجل الاسلام ..

والانسان المسلم يؤمن بالثورة فهي طريقه الى الدنيا والآخرة ..
ولأن تدينه يستحقه في الليل والنهار بالجهاد في سبيل الله .. وان الموت
تحت حبل المشنقة او تحت حافة السكين أو امام سيل الرصاص المنهمر
هو اهون بكثير من عذاب الله الذي لا يطاق .. وثمن الشهادة محفوظ
ومضمون في البنك الآلهي .. وهذا البنك لا يعطي ضمانات في التأمين
على الحياة او شهادات استثمار أو فرص توفير او فوائد على حساب
الودائع .. هذا البنك الآلهي يضمن الجنة لمن يقتل في سبيل الله أو
يموت شهيداً .. وهذا البنك يضمن المظلومين الذين تقطعت بهم اسباب
التملق والوجاهة والسلطان فعاشوا معذبين تحت السياط ..

والعقيدة مخ العبادة فهي التي تدفع الانسان المسلم للعمل وهي
التي توثق الصلة بينه وبين خالق السموات والارض .. وهي التي تجعله
دائماً على المحك حيث تتحطم المفريات وانغواء الشياطين على صخرة
العقيدة .. وهي التي تدفع الانسان للدعوة الى الله ..

والتفكير والروحية .. عنصران اذا توافرا في جسد انسان مؤمن
اكسياه شخصية قوية وایمان فذ وتفاني في العمل وتفكران في الذات ليس
له مثيل .. ورجل الاعلام الاسلامي ملزم ان يكرس كل حياته للدعوة
الى الله .. فعليه ان يفرق كل سفنه حتى لا يفكر بالعودة الى الشاطىء
مرة أخرى ..

وبهذا يكون رجل الاعلام المسلم انساناً ملتزماً مفكراً عقائدياً
ثورياً يؤمن بأن طريق الاسلام لا يتم الا عن طريق الثورة والفكر
والاعلام الثوري الهادف ..

٢ - الفكرة الإسلامية :

ان الفكرة هي اساس العمل الاعلامي وبها يتم تغيير المجتمع ،
والاسلام لا يحتوي على فكرة فحسب بل فكرة وهدف .. وقد عرضنا
جوانب من الفكر الاسلامي وسنعرض على مدى السلسلة جوانب اخرى
من هذا الفكر ..

يحدد بعض رجال الاعلام^(١) شروط الفكرة كما يلي :

أ - يجب ان يوضع للفكرة او المواد المتعلقة بها ، تخطيط وان
تكون مدروسة علمياً بعد تحليل اتجاهات وميول الرأي العام .

ب - يجب اختيار احسن وسيلة اتصال بالأمة لتوصيل الفكرة
الى المرسل اليه ..

ج - ان تكون الفكرة واضحة ومفهومة عند المرسل اليه .

د - ان تتمكن الفكرة من ان تحقق فعلا التأثير والاستجابة
والسلوك المطلوب .

هـ - ان يكون التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب من المرسل
اليه مما يمكن ان ينفذه .

و - ان تخدم الفكرة مصالح المرسل اليه ، وان يكون في حاجة
اليها ..

ز - التأكد من ان التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب هي في
جانب الصالح العام . لذلك يجب ان تكون وسائل الاتصال قد وضعت

(١) الاعلام والدعاية - نظريات وتجارب .. دكتور محمد عبد القادر
حاتم (١٩٧٢) ، وقد اقتبسنا بعض الفقرات المهمة من هذا الكتاب ..

الفكرة لتدفعها الى عقول الامة ، اما لتقتنع بها الامة او لتتزع من عقولها
فكرة اخرى • ومحصلة كل هذا هي الوصول الى سلوك معين •

ح - ان تكون الفكرة المعروضة قد درست وناقشت الآراء المعارضة
لها وان يعلم المرسل اليه هذه الافكار وهذه الآراء المعارضة
مقدماً مع تنفيذها واطهار خطئها •• وبذلك يتحصن المرسل اليه
ضد أي فكرة ••

ط - يأمل المرسل اليه ان تكون الفكرة المرسلة اليه ملائمة او متفقة
مع افكاره او تؤيدها • اما اذا كانت الفكرة لا تتماشى مع افكاره فقد
تجد صعوبة لدى عقل المرسل اليه ليصدقها •

ي - يجب ان تكون الفكرة المعروضة غير مصاغة في صيغة أمر
او استكبار او استعلاء على المرسل اليه ، فالمرسل اليه يجب دائماً ان
يشارك في صنع حياته بنفسه وأن يأخذ هو القرار ويستجيب طواعية
بعد اقتناع ••

ك - ان تكون الفكرة متفقة مع المجتمع كله ان أمكن لأن المرسل
اليه يريد عادة أن يحقق أفكاره بشرط ان يسلك السلوك الذي ترضى
عنه الجماعة التي يعيش فيها •

هذه النقاط يمكن دراستها وتحديد بعض أخطائها من خلال استقراء
مصادر التفكير الاسلامي •• فالنقطة (ط) والنقطة الأخيرة يمكن ان
تكون غير عملية بالنسبة الى الدعوة الاسلامية في مجتمع جاهلي يستوجب
تحطيمه بكافة الوسائل التي يمكن استخدامها ••

٣ - وسيلة الاتصال :

وتتنوع هذه الوسائل حسب طبيعة المرحلة الزمنية فوسائل الاتصال
في عهد الرسول محمد (ص) تختلف عن وسائل الاتصال في القرن

الثامن الهجري وهذه تختلف عن وسائل الاتصال في القرن الرابع عشر الهجري ..

ووسائل الاتصال في الحقبة الزمنية الحالية متعددة ومتنوعة فمن الوسائل المقروءة كالصحف والمجلات والنشرات الى الوسائل السمعية كالاذاعة والندوة والخطابة والمناقشة الى الوسائل البصرية السمعية كالتلفزيون والمسرح والسينما واتهاء بالوسائل الشخصية كالمقابلة والمحادثة وغيرها ..

وكل هذه الوسائل يمكن ان تستخدم بنجاح للدعوة الى الله .. خاصة اذا احسن اختيار واتقاء العاملين في هذه الحقول ..

٤ - المرسل اليه :

على رجل الاعلام ان يكون على بينة مما يلي في دراسته لشخصية المرسل اليه : ان لكل فرد او امة ذوقها الخاص وثقافتها الخاصة ولها مفاهيمها ومعتقداتها وبيئتها وتطلعاتها الخاصة . وعلى هذا فان الداعي لله يجب ان يعرف مع من يتعامل .. يدرس آراؤه وأفكاره ورواسبه وخلفياته التربوية ثم يدعوه بعد ذلك الى النظام الذي يعتقد ..

٥ - التائم :

يجب ان ننظر الى الفكرة على ضوء عوامل مختلفة لكي تؤثر في عقل المرسل اليه ، حيث ان المرسل اليه عندما تصله الفكرة يتلقاها بالطريقة التالية :

أ - يستعيدها على ضوء الوعي الكامل .

ب - يستعيدها على ضوء اللا شعور او اللا وعي او العقل الباطن .

ج - ينظر اليها من وجهة نظر التقاليد التي نشأ عليها .
د - يفحصها في ضوء المعتقدات الدينية التي كان يؤمن بها
وتظلي عنها .

هـ - يقارنها بالافكار التي يعتنقها .

و - يوائمها مع نوع الحياة التي يحيها والثقافة التي يسلكها .

ز - يزنها من ناحية التطلعات التي يسعى الى تحقيقها .

ح - يربطها بالنواحي الانسانية التي يتوخاها في سلوكه الخاص .
ولذلك فان المرسل اليه يعمد الى مقارنة هذه الفكرة بالافكار التي
يعتقها ، كما يعمد الى المقارنة بين النتائج المترتبة على قبولها بحيث لا
تعارض مع النتائج التي يتطلع اليها .

وهنا يدور صراع عنيف بين كل ما يؤمن به وبين ما تحتويه الفكرة .
وسواء رفض الفكرة او قبلها فان هناك عملية أخرى هي عملية الاستجابة
للمؤثرات الحسية والعقلية والنفسية ..

والتأثير الاسلامي على الانسان الجاهل تأثير عجيب .. لا مثيل
له .. التأثير الذي جعل الولد يقتل والده ، والزوجة تهجر زوجها والأخ
يكره أخاه في سبيل كلمة حق فاصلة .. هذا التأثير قادر على خلق الأمة التي
تؤمن بالاسلام نظاماً واسلوب حياة ..

٦ - المؤثرات :

وتقسم الى ثلاثة أنواع :

أ - المؤثرات الحسية : تستثير الأحاسيس الطبيعية - كالحب

والكراهية او الفرح او الحزن او التعاسة او .. الخ . وهي ردود فعل
غرائزية .

ب - المؤثرات العقلية : تستثير العقل والتفكير - كالتصديق
والتكذيب والتأييد والرفض والاعجاب والاستنكار . وهي ردود فعل
عقلية ..

ج - المؤثرات النفسية : تخاطب العقل الباطن او اللاشعور والخبرات
والتجارب داخل اللاوعي الناتجة من صراع النفس وشتى ضروب
لتعارض او التوافق بين الماضي والحاضر - وهي صادرة عن ردود فعل
نفسية . وقد استخدمت وسائل الاتصال والاعلام والدعاية كل هذه
المؤثرات بالقدر الملائم والظروف الملائمة وفي الوقت الملائم بالعلم والخبرة
ودراسة الرأي العام وتحليله . ولو أحسن استخدام هذه المؤثرات لنجحت
عملية التوصيل واتجت التأثير المطلوب . كما ان وقوع أي خطأ مباشر
او غير مباشر من شأنه ان يؤدي الى فشل عملية التوصيل ، وقد ينتج
تأثيراً عكسياً تماماً يتولد داخل الفرد المتعرض لوسائل الاعلام والدعاية
والاتصال .

وعندما جاء الاسلام .. لم تكن هناك علوم لدراسة علم النفس
او دراسة الاعلام او دراسة العلوم العقلية .. لم تكن هذه العلوم
لندرس وتطبق .. وجاء الاسلام وهو يحمل بين طياته علوماً في أرقى
قسم الفكر .. من هذه العلوم هو علم الاعلام ..

وعندما نستعرض المؤثرات نجد ان الاسلام اول من استخدم هذه
المؤثرات بالوجه الصحيح .. انظر الى قوله تعالى في استشارة حب الله
وكيف يثير في الانسان تلك الأحاسيس الطبيعية :

(واذا سالك عبادي عني فاني قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) البقرة : ١٨٦ . (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم . قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) آل عمران : ٣١-٣٢ . (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهباً ولو افترى به ، اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين) آل عمران : ٩١ . (ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم)

المجادلة : ٧

وانظر الى قول الله تعالى في استشارة العقل في التفكير : (فلينظر
 (فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب
 والترائب . انه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر . فما له من قوة
 ولا ناصر) الطارق : ٥ - ١٠ .

وانظر الى قول الله سبحانه وتعالى في النوع الثالث من المؤثرات
 حيث يخاطب العقل الباطني :
 (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار)
 آل عمران : ١٧

(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً . قل
 آمنوا به او لا تؤمنوا ، ان الذين اوتوا العلم من قبله اذابتلى عليهم يخرون
 للاذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولاً . ويخرون
 للاذقان يكونون ويزيدهم خشوعاً) الاسراء : ١٠٦ - ١٠٩ .

والخشوع لله يجعل الانسان في حالة نفسية سامية لا يمكن ان
توصف بأي تعبير ..

٧ - السلوك او رد الفعل :

بعد ان يقتنع المرسل اليه بقبول الفكرة او رفضها تبدأ عملية
استرجاع المؤثرات التي ذكرناها مرة اخرى ، ولكي يكون السلوك
مطابقاً للفكرة فان المرسل اليه يراجع نفسه ليكون سلوكه الشخصي
متماشياً مع السلوك الجديد المراد له ، بناء على قبوله للفكرة او رفضه
لها وهل هذا السلوك الجديد يتوافق مع السلوك الجماعي الجديد المراد
ان يسلكه جميع المتعرضين للاستجابة المماثلة أي المقارنة بين مصلحة
الفرد ومصلحة الجماعة . وعندئذ يدور صراع بين الفرد ونفسه .

لذلك كلما كانت سلسلة الاتصال بالامة مقنعة وواضحة وصریحة
بالنسبة لأكبر عدد من الافراد ، استجاب الافراد للفكرة ، فان هذا يؤثر
على قرار الفرد المرسل اليه . وهذا يرجع الى وجود صراع عنيف بين
ما يريد به الانسان بدافع ميوله ورغباته وبين ما تريده وسائل الاتصال
والاعلام ؛ لذلك يحرص رجل الاتصال او الاعلام في مجالات : (الفكرة ،
التأثير ، الاستجابة وردود الافعال) على ان تتم كلها على نحو سليم لا
يحدث فيه تعارض او تنافر بين التأثير والاستجابة من ناحية وبين ردود
الفعل السلوكية من ناحية أخرى ..

والاعلام الناجح هو الذي ينجح في جعل المبادئ الثلاثة (الفكرة
والتأثير والاستجابة) متحركة بدون ضغط او كبت او الزام ، ولذلك
يلجأ الاعلام ووسائل الاتصال الى الطرق التالية لمنع التضارب او الخلل:

١ - **الالتحاح** : وهو طرح الفكرة مرات ومرات وفي اشكال جديدة
ومناسبات وظروف مختلفة لكي يصل الى الغرض المطلوب .

٢ - المتابعة : لتعيق وترسيخ الفكرة في عقول الجمهور وطرح نتائجها مرات ومرات في اشكال ومناسبات مختلفة .

٣ - الملاحقة : لتجديد شباب الفكرة واكسابها مزيداً من الحيوية .
وعن طريق هذه الوسائل الثلاث يحدث الاغراء فيتحقق التجاوب والتفاعل والالتحام والمشاركة بين الاعلام والجمهور ..

هذه الحلقات السبعة التي ذكرناها تؤلف ما يسمى في قاموس الاعلام بالسلسلة الاعلامية المترابطة ..

عندما اكتسح الغزو الصليبي الوطن الاسلامي سقطت مواقع كثيرة للاسلام تحت ضرباته .. وكان الغزو الصليبي يستخدم كل الوسائل الممكنة في سبيل دحر الاسلام .. وكان لاستخدامه الاسلوب الدعائي والاعلامي الذي يلفه الكثير من الزيف اثرأ كبيراً في اضعاف نفوس كثير من ضعاف العقيدة .. وكانت أسس الدعاية الاستعمارية كالاتي :

١ - كان هدف دعايتهم الهجومية الاعتدائية هو الاشخاص لا الموضوعات . فحشد كل الجهود الاعلامية ضد الأمة بأفرادها سوف يسهل ويسبب من العملية ذلك لأن معالجة الموضوعات مسألة معقدة ولا يمكن ان تعالج بالبساطة او اليسر الذي يجب ان تكون عليه صبغة الدعاية ..

٢ - يجب ان تخفى الدعاية وتموه حتى لا تبدو واضحة ظاهرة على انها دعاية والا تعرضت للفشل .

٣ - يجب ان تستند الدعاية الى المعلومات ذات القيمة والى المعرفة الدقيقة بمجريات الامور ، ويجب ان تنسق تماماً مع الاتجاهات السياسية والثقافية والعسكرية والاقتصادية والعاطفية للدولة وللشعب الذين توجه اليهم .. وان المعرفة الدقيقة بلغة البلاد التي توجه اليها الدعاية

شرط اول لان المستمعين سرعان ما يعرفون بسرعة المتكلم الاجنبي ،
لاخطائه في استعمال اللغة بالصورة التي يستخدمونها هم .

٤ - لا يصح اطلاقاً ان تظهر الدعاية ، وكأنها تخلق موضوعات
جديدة بل يجب ان تعني بدلا من هذا بالموضوعات القائمة فعلا وان
تعالجها بصورة ما لفائدة الدعاية ، وأقرب معرفة لهذا الاسلوب ما
تستخدمه الدعاية السوفيتية الشيوعية في اذاعتها فهي تحشد كل جهودها
في الموضوعات الحساسة القائمة فعلا في المجتمع مثل البطالة وعدم
الاستقرار السياسي والتفكك الداخلي ، وتبحث هذه الموضوعات بأساليب
فنية ثم تصنع منطقتها الجدلي بذات الاسلوب الفني .

٥ - يجب الا تكون للدعاية صبغة جامدة تجعلها عاجزه عن ملاحقة
التطورات اليومية وان تكون متأهبة دائماً لتحويل تفسيرها للموضوعات
بما يتمشى مع التطورات اليومية التي تحدث فيها .

٦ - لا يمكن ان تدار الدعاية بسيطرة آلية ، واذا كانت التوجيهات
والتعليمات تجيء عادة من سلطة مركزية تتولى الاشراف على الدعاية الا
ان الاسلوب والوسيلة يجب ان يترك لاولئك الذين ينفذون الأمر فعلا .

٧ - يجب ان تستخدم الدعاية كل التسهيلات الممكنة المستطاعة
وبخاصة مواطني الدولة التي توجه اليها الدعاية ، والسعي لاكتسابهم
للاشتراك فيها .

وقد كانت حوادث ما بعد الغزو الصليبي تؤكد ما جاء في هذه
النقاط .

(٢)

ان الاعلام الاسلامي ليس موضوعاً حديثاً بالولادة .. فقد ولد مع ولادة الاسلام .. لأن الدين الاسلامي ليس كباقي الأديان فهو دين دعوة وحياة .. يختلف عن اليهودية في كون الدين اليهودي يقتصر على اليهود لأنهم « شعب الله المختار » في زعمهم .. ويختلف عن المسيحية لكون المسيحية ليست نظام دولة وحياة .. لأن المسيح (ع) لم يبن دولة في الارض حتى يعلمنا كيف تبنى الدول وترسم السياسات .. وان المسيح (ع) لم يتزوج حتى تتعلم كيف يتم الزواج في المسيحية وكيف يكون الموت وحق الجار وكيف تكون الحروب .. لأن ادارة الخد الايمن بعد أن يلطنا عدونا على خدنا الأيسر لا يمكن ان تكون صائبة في جميع الأحوال ..

فهنالك المواقف التي تستدعي ضرورة الاقتناع بالسلام .. وهناك المواقف التي لا ينفع معها الا السيف .. وفي كلتا الحالتين يحدد الاسلام موقفه منهما بصراحة ووضوح ..

وقد كان للكتابة دور مهم في اصال الفكر والاعلام الى الناس وكان لها ايضاً دور في اصال كلمة الحق الى كل مكان ..

« وكان للكتابة أكبر الاثر في حفظ التراث الذي يعدّ جيداً مع ان تدوين الحديث لم يكن شائعاً في فجر الاسلام ، ولم يوضع له نظام خاص لتدوينه كالذي وضع للقرآن .

ونشأ عن هذا انه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله سجل
كتاب مدون هو القرآن وأحاديث غير مدونة تروى عن رسول الله ، وكانت
تروى في الغالب من الذاكرة لا من صحيفة .

فكان اذا عرض حادث ليس له حكم في القرآن وعرف بعض الصحابة
انه حدث نظيره لرسول الله وكان له فيه حكم حدث بذلك الحديث ،
وكذلك كانوا يحدثون بما وقع في عهده من غزوات ومن وعد ووعد
ونحو ذلك . وكان بعض الصحابة يكره كثرة الرواية عن رسول الله خشية
الكذب عليه وخشية ان يصددهم ذلك عن القرآن .

وتاريخ الحضارة الاسلامية يذكر أيضا قوة الدعوة في خطاب
الرسول الى المقوقس عظيم القبط لاعتناق الاسلام ، وفي رسائله الى
حكام البلدان المتاخمة للغرب كهرقل ملك الروم وغيره .

وان الآيات القرآنية التي انزلها الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه
لتعطي مثالا واضحا لعناد قوم نوح بعد الحاحه عليهم بقبول دعوته :
« قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي الا فرارا ، واني
كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا
واستكبروا استكبارا ، ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم
اسراراً » نوح : ٥ - ٨ .

وان اقرب مثل تاريخي للحرب الباردة او الحرب الكلامية التي
تسبق غالبا الحرب الحامية والقتال من هجوم او دفاع يبدو في الحرب
التي دارت بين الرسول محمد (ص) وانصاره من جهة وبين منكري دعوته
الاسلامية من جهة أخرى ..

فعندما نزل الوحي المبين على النبي الامين بالدعوة الى الدين

الاسلامي اصفى النبي الى هذا الأمر المنزل عليه من السماء وبدأ
دعوته سراً .

كانت هذه الدعوة التوحيدية زلزلة لعقيدة الاوثان الراسخة في
في نفوس الكعرب وكان عليه ان يوضح هذه الدعوة الجديدة ، وان
يلخص في الوقت ذاته مزاعم الوثنية ، وحينما فعل ممثلًا لأمر ربه ومؤمنًا
برسالته كان هذا بدء الاعلام ، فهو يبين وجهة النظر الاسلامية ويجادل
بالحسنى او بالتي هي أحسن ليكسب انصاراً ويفرق الملتفين حول الوثنية:
«دفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم»
فصلت : ٣٤

وهو حين مضى في رسالته لم يقف خصومه منه موقفاً سلبياً بل
رموه بالشاعرية الكاذبة تارة والجنون تارة أخرى ثم عرضوا عليه عرضاً
مختلفة ، ومنوه بالمال ولكنه لم يقبل لأن المبادئ لا يساوم عليها .

ولما لم يفلحوا قاوموا انصاره بالاعراض والتعذيب والنفي حتى
اضطر الى ان يهاجر اخيراً من مكة الى المدينة التي اتخذها مستقراً له
ولاتباعه وصحابه . اما هو فقد استعان عليهم بأمرين خطيرين :

**اولهما - السيطرة الروحية على اتباعه والمؤمنين برسالته، وتوجيههم
وجهة الجهاد والصبر والايمان .**

**واما الثاني - فهو التهوين من عقيدة الآخرين والسخرية من دينهم
ومن آلهتهم المتمثلة في اصنامهم .**

وقد نجح في الأمرين جميعاً وأتمت خطة الاعلام بالظفر والنصر .
ولقد كان النبي (ص) حين يهاجر الى المدينة ضيقاً أسفاً لمنكري
عقيدته من سكان مكة الذين اكرهوه وأكروهوا اتباعه على الهجرة ،
وكذلك كان انصاره وصحابه الذين تركوا (ملاعب صباهم) ودورهم

وأهليهم فراراً بدينهم وتمكيناً لعقيدتهم • فكانت هذه الروح التي سيطرت على المهاجرين هي التي جعلتهم يظفرون بأعدائهم في غزوة « بدر » الكبرى على قلتهم وكثرة عدد الآخرين كما لروي التاريخ الصادق •

كما حدد القرآن رسالة النبي بعبارات دقيقة تبين ان مهمته هي الموعظة والتذكير :

« فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر » الفاشية : ٢١ •
ويبين ان الدعوة الى القرآن يجب ان تؤدي من أطف طريق :
« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » النحل : ١٢٥ •

ومن العوامل التي أدت الى نجاح الدعوة الاسلامية واكتساحها الدعوات الاخرى من الوثنية وغيرها عامل هام ، يتمثل في ان هذه الدعوة قريبة من نفوس (العرب) جلية في اذهانهم ، وتتمثل كذلك في بيان الداعية وبلاغته وقوة حجته وسلامة منطقته وتعرفه مشارب الانسان وتفهمه طبيعة الناس ، وهي امور لها خطرهما في كل دعوة •• بل هي وسيلة هامة من وسائل الاعلام •

والمعروف مثلا ان موسى عليه السلام لم تكن اداة الكلام لديه مكتملة فالتمس من ربه ان يستعين بأخيه هارون حين قال :

« وأخي هارون هو افصح مني لساناً فارسله معي ردها يصدفني اني اخاف ان يكذبون » القصص : ٣٤ •

وهذا حق وصدق ، اذ كيف يتم ابلاغ الناس وافهامهم دعوة من الدعوات أو قضية من القضايا او منهجا من المناهج او سببا من اسباب الخصام والعداء •• الا اذا كان المبلِّغ يبيِّن المنطق واضح الحجة سليم البيان ؟

وفي هذا يقول أيضاً :

« قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قلولي واجعل لي ذرياً من اهلي هارون اخي اشدد به اذري »

طه : ٢٥ - ٣١

وقد جاءت في القرآن الكريم آيات عديدة تبين عناد الكافرين مثل
قوله سبحانه وتعالى :

« واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم
هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون » البقرة : ١١ .

يبين لنا النص السابق ان الاعلام الاسلامي وليد مع ولادة
الاسلام .. ويرينا ان قوة الاعلام الاسلامي كانت بقوة الاشخاص
الذين يدعون اليه .. وقد تتفق مع هذا النص في نقاط وقد نختلف في
نقاط أخرى ..

والحقيقة ان عصر الرسول (ص) كان عصراً نموذجياً للإسلام ، ففيه
توفر كل شيء من العقيدة الصلبة الى الروحية الشفافة الى الاعلام
الجيد الى الدعوة لله الى الاسوة الحسنة الى الايمان العميق .. الخ .
وفي هذا العصر بدأ الناس يشعرون بلهيب العقيدة وهو يسري في عروقهم
واجسادهم ، وفي هذا العصر بدأ الناس يتذوقون طعم الايمان لأول مرة .

وبعد وفاة رسول الله (ص) ابتدأت حروب التحرير الاسلامية حيث
كان على الدعوة ان تجوب اقطار الارض داعية الى الله الواحد القهار
اما بالكلمة ، واما بالسيف حيث لا تنفع الكلمة ولا تجدي .. واتته
تلك الحقبة الزمنية حيث كان الاعلام الاسلامي فيها في أوج نشاطه

وانتهت بتحرير أكثر من ثلث العالم حالياً (أكثر من نصف العالم في ذلك الوقت اذا استثنينا وجود القارة الأمريكية) .

وقد كان اخلاص الدعاة وتفانيهم في سبيل الله وصدق نياتهم وحسن تصرفهم أكبر الاثر في دخول اعداد كبيرة من الناس في الاسلام .. لأن الكلمة لا بد ان تترجم الى عمل حتى تتمكن من الحكم على الكلمة .. أهي صائبة ام خاطئة ؟ ..والاسلام هو الكلمة .. فلا بد من ترجمتها الى واقع .. ولا يترجم الاسلام الى واقع الا المسلمون الصادقون ... الذين اغرقوا سفنهم حتى لا تغربهم الحياة بالعودة الى الشاطئ مرة أخرى ..

ثم جاءت الدولة الفاطمية واهتمت بالدعوة اهتماما بالغاً فعينت داعي الدعاة أي وزير الاعلام .. يقول المقرئزي « ... ووظيفة داعي الدعاة كانت بمثابة وزير الاعلام الآن ..
الدعاة كانت بمثابة وزير الاعلام الآن ..

ثم جاءت الحروب الصليبية فاشتبك الطرفان بالحروب الاعلامية قبل الحروب التقليدية .. فصلاة القداست التي دعا اليها البابا أوربان الثاني في كليمنت من اعمال فرنسا سنة ١٠٩٥ لنصرة اول حملة صليبية كانت عملاً بارزاً من أعمال الدعاة الصليبية ..

وفي سنة ١٦٢٢ انشأ البابا جريجوري الخامس عشر ما يمكن ان يعد اول هيئة للدعاية بقصد نشر الكشكشة (المعتقد الكاثوليكي) وذلك عندما أسس « جمعية الدعاية المقدسة » للقيام بالتبشير فيما وراء البحار .

وتوالى بعد ذلك الحروب الصليبية .. القتالية منها والفكرية انتصر الاسلام فيها واذاقهم طعم الهزيمة وخرء « رتشارد قلب الامد » جريحاً

فما كان من طيب صلاح الدين الايوبي الخاص الا ان عاجبه لأسباب
انسانية بدل ان يقتله .

ولكي نرسم صورة واضحة عن الاعلام الصليبي الحاقد تقرأ معاً
نص محاضرة الكاتب الانجليزي « ارسكن تشيلدرز » الموسومة
« صورة العرب في الغرب » ويقصد بالعرب هنا المسلمين .. لأن
الصليبيين يحاولون ربط القومية بالدين .. والترويج للقومية كما سبق
وان قلنا هو مفهوم صليبي .. وكل كلمة عربي في المحاضرة تعني مسلم
لأن الاسلام لا يعترف بالقومية ولا يقيم لها أي اعتبار .. وقد القيت
هذه المحاضرة في هولندا بدعوة من جمعية الصداقة الهولندية العربية ..
ونقل هنا ما يتوافق مع موضوعنا الذي نحن بصدده .. يقول
تشيلدرز :

« اذا حاولنا القاء نظرة على علاقات الغرب بثقافات واقطار أخرى
خارج نطاق ما يعرف بالمدينة الغربية ، نستطيع على ما اعتقد ان نكتشف
صورة معينة محددة المعالم . عموماً ، اننا في الغرب لم تصل بتلك
الثقافات والأقطار الا مؤخراً ، أي منذ عهد الاستعمار ، ونتيجة لذلك
فقد جمعنا معلوماتنا عن تلك الشعوب من خلال حكمنا واستغلالنا لها .
وفي حالات كثيرة كنا نقنع انفسنا بأن مفكرينا واساتذتنا أفلحوا في اعطاء
تلك الشعوب صورة اضبط وأدق عن انفسهم وعن ماضيهم . وكنتنا
نزع تفسيراتنا لثقافتهم باحاج غريبة معدة سلفاً . مثلاً : لقد انتظرنا
حتى الثلاثينات من هذا القرن ، أي مدى ثلاثمائة سنة ، ليطلعنا الاساتذة
الهولنديون المعاصرون مثل بوش وراسرز وفان لور وغيرهم على معطيات
الثقافة الاندونيسية القديمة التي سبقت في عظمتها حتى ثقافات الهندوس
والمسلمين ، لأن الاساتذة والعلماء الاستعماريين شاءوا ان يطمسوا ذلك
مدة ثلاثمائة سنة . وفي نطاق النظرة الجديدة في الغرب للثقافات الاخرى

والتأثرة لحد ما بالمفاهيم الاستعمارية القديمة علينا ان نحاول الان ننسى حقيقة واحدة مهمة جدا ، وهي ان اطول واعمق اتصال غربي بالثقافات والمجتمعات الاخرى ، كان الاتصال بالثقافة العربية والعالم العربي . واكثر من ذلك نستطيع ان نقول بكل ثقة ان جميع مساعي العالم الغربي الاستعماري للاتصال بالثقافات الاخرى ، جاءت بعد كل ما حققه الغرب من اتصال طويل ومثمر بالعالم العربي والاسلامي . ان خطاب القائد الاسباني البوقريق قبل الهجوم على ملقا توضح هذه الصورة احسن توضيح ، قال لرجاله : « ان ما يدعوننا الله اليه الآن هو اطفاء جذوة الاسلام بحيث لا تشتعل مرة اخرى ابدا » .

لقد كانت صورة العرب والمغاربة والمسلمين في الغرب تتسم بالقوة والحق في وقت سبق كثيرا الامبراطوريات الغربية التي نشأت بعد ذلك في الهند والصين والهند الصينية واندونيسيا وافريقيا والصين واليابان . وما اكثر وأروع ما نتج عن علاقة الغرب بالعرب والاسلام . ولنضع الآن سؤالا بسيطا . ماذا تعنى كلمة عربي ؟ والجواب البسيط الذي يسارع الى اذهان الكثيرين منا ، هو العبادة البدوية والخنجر الحاد والجمال والحجاب فوق عيون الفتيات وصفات جميلة الوقع على الاذن مثل دهاء وخبث وفساد وحب للقتال . ولكن ما تفعله دائما ونحن نجود على العرب بهذه الاوصاف ، هو ان الثقافة والمدنية العربية كانت أهم وابرز ثقافة شيدت فوقها ثقافة الغرب .

كثيرا ما راودتني فكرة وضع فلم عن العرب ، وانا واقف في ميدان ترافلغر في لندن . لو قدر لي هذا ، فأنتي سأهز اوصال كل المتفرجين ، بريطانيين وغربيين على السواء . سأخبر الحاضرين بأن ميدان ترافلغر عربي الاصل (الطرف الاغر) ، وأن الشيكات التي تتعامل بها البنوك

الكبيرة الموجودة في ذلك الميدان استمدت تسميتها من كلمة عربية ، وان الأرقام التي تحملها من اكتشافات العرب ، وان المجاري تحت ذلك الميدان اقتبست من مجاري بغداد وقرطبة عندما كانت لندن وأية مدينة غربية أخرى مجرد اكداس من الطين والاوساخ ، وان النجوم التي تحلق في سماء صافية فوق ميدان ترفلغر عربية الاسماء اكتشفها علماء فلك عرب ، وان تكتيك الملاحة الذي استعمله القائد البحري نلسون اكتشف وطور على يد ملاحين عرب ، وان لقب ادميرال الذي عرف به نلسون كلمة عربية الاصل . وسأدهش الحاضرين أكثر عندما ابلغهم ان الماء الصاعد من نوافير الميدان ماء صاف بفعل انتصارات العلماء العرب القدامى في علم الكيمياء ، وان أي عالم غربي يحاضر الآن في متحف مجاور او معهد علمي مجاور ويشير الى ثقافتنا « الاغريقية العظيمة » انما يعني ثقافتنا الاغريقية التي حافظ. عليها وترجمها وصقلها واهدانا اياها العرب ، وان علوم الجبر والهندسة التي ساعدتنا على بناء الميادين الكبيرة الشبيهة بهذا الميدان انما ورثناها عن العرب ، وان صحة عابري هذا الميدان اليوم انما أمكن المحافظة عليها بهذا المستوى الجيد بفضل ما خلفه لنا الاطباء العرب القدامى من دراسات وتحقيقات طبية كالرازي وابن سينا .

هذه قصة تبدو خيالية . الا ان ما يبعث على الدهشة حقا هو ان معظم الغربيين اليوم يجهلون تماما دور العرب في خلق اول بذار مدينتنا - اننا نعهد للاغريقين دور وضع الاسس لثقافتنا الحاضرة ، ونعترف للصينيين بانهم اورثونا مسحوق البارود وأشياء قليلة أخرى ، ونعترف بأننا بدأنا في وادي النيل ومنبسطات العراق وضيغاف نهر الاندوس . ولكننا ننسى او تناسى ما ورثناه عن العرب الذين جاءوا بعد هؤلاء .

وكثيرا ما نردد بفخر عبارة « المكتبة الاغريقية العظيمة » في

الاسكندرية وكثيرا ما نحاول اقناع أنفسنا بان هذا الكنز الغربي العظيم
دمره العرب عندما اجتاحوا مصر لأول مرة . فهل هذه هي الحقيقة ؟
الحقيقة هي ان نصف المكتبة دمره اسلافنا الرومان وان النصف الثاني
حافظ عليه العرب بقلوبهم ودمر مع مدينة الاسكندرية على يد
الصليبيين الاوربيين .

المؤسف ان صورة العرب الحالية في اذهاننا سلبية وغبية . فنحن لم
نصل الى ما وصلنا اليه الا بفضل العرب ولأن اتصالنا بهم كان اطول
واوثق من اتصالنا بالشعوب الاخرى .

الجواب على كل هذا يتوضح عندما نستعيد اول خبراتنا مع العرب .
كان ذلك بعد خروج العرب من الجزيرة العربية منطلقين شرقا وغربا حتى
وصلوا اواسط فرنسا . ولم تكن انطلاقتهم حملة حربية صرفة . فالعرب
الوافدون لم يكونوا مجرد جنود . كانوا ديننا جديدا منظما ، ديننا
يعلن انه يشارك المسيحية تعاليمها ورجالها . ولذلك لم يسبق للعرب ان
واجه ثقافة كهذه واختبارا من هذا النوع . بل لقد جاءت هذه الانطلاقة
حينما كانت اوربا والمسيحية تجاهدان للانفلات من عصور الظلام المخيمة
على القارة الاوربية . ولا شك ان اجدادنا نظروا الى كل هذا بدهشة
وحيرة وألم أيضا . اذ رأوا العرب من حولهم يقدمون لهم عصارات ما
اكتشفوه وحققوه منذ ثلاثة قرون في مدن مدهشة كبغداد وقرطبة في
مختلف مجالات المراسد والمستشفيات والتخطيط الهندسي والعلم
والفلسفة والملاحة والتجارة والعلوم السياسية والادارة ، ويقدمون
لابنائهم الثقافة والمعرفة على نحو لم يعهدوه ، ويحملون لهم ديننا جديدا
ونظاما سياسيا جديدا يتخطى القدس وفلسطين مصدرى الالهام المسيحي
في القرون الوسطى .

وكل ما عقب ذلك كان سلبيا من جانب المسيحية . فالصليبيون الذين كانوا أول من أمدنا جميعا بالشجاعة وقيم الشهامة ، نظروا الى العرب كاعداء . واذكر ما كتبه المؤرخ البريطاني غييون ، اذ قال : « لو لم تقهر العرب (المسلمين) في معركة تولوز لكان القرآن اليوم يدرس في اكسفورد » .

والحقيقة اننا اذ لم نستطع اخضاع الدين الاسلامي لدينا اخذنا نشوه سمعته ونعبيء ثقافتنا اللاواعية بالحقده عليه . قلنا ان المسلم يلجأ بسرعة الى سيفه ليجز به رأس المسيحي في اول مناسبة ، بينما ننسى ان الديانتين الآخرين لم تلقيا المعاملة الحسنة الا في رعاية الاسلام . كذلك ننسى ما فعله الصليبيون ، لا المسلمون ، في مجالات الوحشية وارقاة الدماء وقطع الرؤوس . و فقط الآن في القرن العشرين اخذ بعض علمائنا يردون الحقيقة عن الصليبيين .

ثم .. وهذه ناحية أخرى لها علاقة بالصورة التي كوناها عن العرب هي معاملة اليهود .

التناقضات هنا لا يمكن ان يتصورها عقل . من نادى العرب للدخول الى اسبانيا عن طريق جبل طارق ؟ اليهود المضطهدون في اسبانيا . وقبل ذلك بقرون عندما وصل العرب الى أبواب القدس ، وقموا مع سكان المدينة اليهود والمسيحيين معاهدة ضمنت لهم ممارسة اديانهم بحرية تامة .

وعندما وصل اجدادنا الصليبيون الى أبواب القدس بعد ذلك بقرون ، دخلوا المدينة بحيلة ولطخوا شوارعها بلون الدم الاحمر وجمعوا اليهود في دور عبادتهم واحرقوهم احياء . هذا ما سجله للتاريخ شاهد عيان . واول موجة لا سامية اجتاحت اوروبا ظهرت بعد الصليبيين . وبمعد

ذلك بالف سنة تقريبا ، يقرر خلفاء الصليبيين طرد العرب من ارضهم فلسطين لينسلموها لليهود وليسدوا حساب الحرب العالمية الأخيرة .

لقد رفضنا أن نفسر عدم تهاوي الدين الاسلامي ، التفسير الصحيح ، أي ما يخترنه هذا الدين من ميزات ذاتية . وقد عرف عن مارتن لوتشر انه وصف القرآن بالخداع والدجل رافضا حتى مجرد قراءته . واول ترجمة انجليزية للقرآن في العام ١٦٤٩ صدرت بهذه العبارة « من اجل الرغبة في التسمن بالغرور العثماني » . واول ترجمة انجليزية كاملة احياها محمد في سنة ١٦٩٧ صدرت بعبارة « الطبعة الاصلية لمختال تجدها في سيرة محمد » .

ومن الجدير بالذكر ان اول استاذ غربي حاول تنقية ثقافتنا من هذا السخف ، كان المستشرق الهولندي ادريان ويلاند احد اساتذة جامعة اترخت . ففي كتاب له صدر في العام ١٧١٢ يتضمن بعض رسائله اشاد الى النصيحة التي كانت توجه للطلاب بعدم دراسة العربية ووجه الكلام لطلابهم قائلا : « المسلمون حقا ليسوا كما صوروا لكم » .

وعندي تفسير خاص ، احب ان اورده في هذا المجال . لقد اتضح لي ان بعض علماءنا واساتذتنا القدامى القوا بتعبه ظهور اول حركة مثالية وعاطفية وحدثت العرب ، على ظهر رجل واحد . ولذلك ، وعلى ضوء هذا التفسير ، حاولوا ان يثبتوا ان الحركة مفتعلة لأنها من صنع رجل واحد أراد ان يخدع شعبه في سبيل اطماع شخصية . ولذلك اطلقوا على محمد صفة المحتال واطلقوا على الدين الذي جاء به اسم « المحمدية » لاقتناع المسيحيين بان هذا الدين فرض على المسلمين فرضا ولم يمتنقوه بمحض ارادتهم . كل هذا لأن هذا الدين الاسلامي وقف في ذلك الوقت حجر عثرة في طريق التوسع الغربي . وما زلنا حتى اليوم وخاصة سياسيينا

وصحفيينا لخط من شأن أية مساع للوحدة العربية على اعتبار انها تهديد للنفوذ العربي متجاهلين عن عمد كون الدين واللغة والثقافة ، ما لا يملكه أي شعب آخر توحد قبله ، ولكم تجاهل اننا نحن الغربيين وليس الاتراك هم الذين مزقوا العرب في عدة اقطار لاضعاف شوكتهم •

تفسير آخر تسلح به لرفض هذه الوحدة هو اننا تعودنا على ربط أية وحدة بالقومية • لقد تذرنا دائما بحجة عدم امكان توحيد قوميتين مختلفتين فكيف يمكن للعرب ان يتوحدوا وهم عبارة عن قوميات كثيرة ؟ وما زلنا نصر على ان المصريين لا ينتمون للقومية العربية ولذلك نحاول دائما التقليل من صدق رغبتهم في تحقيق الوحدة العربية ونستطرد في تفسيراتنا ونقول ان قيادة مصر على هذا الأساس غير مخلصه ، خادعة ، تريد السيطرة •

في هذه الظاهرة وغيرها نجد عادة غريبة مميزة اخرى بالنسبة لعلاقتنا مع العرب ومفاهيمنا عنهم ، هي ايماننا بأن سلامتنا موجودة في ابقاء القديم على حاله • وانا على يقين من أن كثيرين من سياسيينا وكتابنا يحبون لو توقفت الساعة عن السير في الشرق الاوسط • ومن هذا المفهوم يمتد هؤلاء انه طالما كان هناك عداة ومناقسة بين بغداد والقاهرة في الزمن القديم فلا بد ان يكون هذا العداة والتنافس قائما في القرن العشرين أيضا • واذا ما سارت المدينتان في اتجاه الوحدة فلحين ، كما حدث قبل الف سنة •

ولكن الحكم على التاريخ العربي المعاصر بهذا المنطق أمر لا يقبله العقل • ان هذا المنطق خير دليل على الجمود العربي في التجاوب مع العرب ، وهو جمود لم يقبله لأنفسنا في التعامل مع أي شعب آخر أو أي منطقة أخرى في العالم •

وكثيرا ما يقال في الغرب انه طالما فشلت الامبراطورية العربية الاولى في توحيد العرب لمدة طويلة ، فان كل محاولات الوحدة المعاصرة لا بد ان تفشل ايضا .

في هذه الأقوال تتضح هواجس الغرب وتنكشف ازدواجيتها . فهي تعبر عن تمسك الغرب بلغة التعلق بالآمال أولا ، ورغبته في بقاء القديم على حاله ثانياً .

هذا اللاحاح على ابقاء القديم على حاله في الشرق الاوسط له علاقة بماضينا الديني ودوافعنا الموروثة . ان سلامة عقائدنا الدينية التي حافظنا عليها منذ الماضي البعيد تتحقق كما نعتقد ، بابقاء الشرق الاوسط على حاله القديم . وكلما ادعينا اننا نرى نوعا من تحقيق وعود التوراة في ارض مولد المسيح كلما احسنا بالاطمئنان في ظل عقائدنا الدينية « (١) .

نستطيع الآن تثبيت بعض النقاط من خلال استقراء المحاضرة السابقة :

١ - ان المحاضر ركز على موضوع العرب والوحدة العربية في حين ان الموضوع يتعلق بالمسلمين قبل ان يتعلق بالعرب ، وان الرازي وابن سينا لم يكونوا عرباً بل كانوا مسلمين . . . واثارة هذه النعرة القومية لها دوافع تبشيرية واضحة لا تخفى على المسلم الواعي .

٢ - ان دفاعه عن الرسول الكريم (ص) بقوله : « ان بعض علمائنا واساتذتنا القدامى القوا تبعة ظهور اول حركة مثالية وعاطفية وحدت العرب ، على ظهر رجل واحد . ولذلك ، وعلى ضوء هذا التفسير ، حاولوا ان يثبتوا ان الحركة مفتعلة لأنها من صنع رجل واحد اراد ان يخدع

(١) تخطيط الاعلام العربي - عقيل هاشم ١٩٦٨ .

شعبه في سبيل اطماع شخصية .. » ليس دفاعا مخلصا يرد الشبه عن ذلك الشخص الكريم .. فقولنا ان الاسلام والحركة الاسلامية حركة مثالية وعاطفية قول خاطيء تنقصه الحقيقة العلمية .. فالاسلام حركة واقعية ترفض المثاليات وترفض حياة التكهن والعزلة والعيش في بحر الاحلام ..

والمسلمون واقعيون لأنهم كانوا في عصر الرسول (ص) لا يزيدون في حفظ عشرة آيات من القرآن الكريم في اليوم الواحد .. لماذا ؟ لأنهم أرادوا ان يترجموا هذه الآيات العشرة الى واقع .. الى عمل .. الى تنظيم .. فلو كان الاسلام مثاليا لما حدث شيء من هذا القبيل ..

والحركة الاسلامية ليست حركة عاطفية لأنها لا تؤمن بالعاطفة وحدها .. بل انها تؤمن بالعقل والعاطفة .. جزء يكمل الآخر .. هنا كل شيء بمقدار .. لا قلق ولا اضطراب ولا تذبذب .. كل شيء في اتزان وموضوعية ونظام ..

ثم ان الرسول اذا أتى على امة فهو رسول واحد .. فلم نسمع ان الله سبحانه وتعالى أرسل عشرين رسولا على امة واحدة وفي نفس الوقت .. فهو رسول واحد وهو رجل واحد جاء ليبلغ رسالة ربه الى البشرية جمعاء .. فالحركة هي حركة رسالية يتزعمها رسول مرسل من الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام .. وليست له أية اطماع شخصية .. فلو أراد ان يكون ملكاً في الأرض او جباراً لكان له ذلك قبل ان يتلقى ما تلقى من قريش وتمتها ، ومن طفيان الاعراب وغلظتهم لكنه كان أغنى من ذلك بكثير فقد اعطاه الله ما لم يعطه لبشر من قبل (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ..

٣ - يلمح المحاضر بأن الصليبية سائرة في ضرب الاسلام مهما

كان الثمن فيقول لمرأ : « هذا الالاح على ابقاء القديم في الشرق الاوسط له علاقة بماضينا الديني ودوافعنا الموروثة . ان سلامة عقائدنا الدينية التي حافظنا عليها منذ الماضي البعيد تتحقق كما نعتقد ، بابقاء الشرق الأوسط على حاله القديم » .

ان التلميح بأن حالة التخلف الحضاري التي يعيشها العالم الذي يؤمن بالاسلام ، يجب ان تبقى لضمان الصليبية ومن يجرّون اذيالها تلميح على قدر كبير من الأهمية في دراسة النظرة الصليبية للشرق لاسلامي ..

٤ - لا شك ان المحاضر قد عرض جوانباً من الشعور الصليبي تجاه الاسلام .. وهذه الجوانب مبتورة لظروف سياسية واجتماعية .. وقد حاول ان يكون موضوعياً فلم ينجح الى حد ما .

٥ - يذكر المحاضر اصطلاح « الامبراطورية العربية الاولى » وهذا الاصطلاح خاطيء ومشوه .. فالاسلام لا يؤمن بالامبراطوريات .. بل يؤمن بقيام الدولة الاسلامية .. وموضوع الدولة الاسلامية مدروس باسهاب من الناحية الفكرية والعقائدية والتشريعية من قبل المفكرين المسلمين بعد استقراء القرآن الكريم وأحاديث الرسول وأحاديث الأئمة والصحابة .. والتأسي بالرسول (ص) والأئمة (ع) والصحابة .

نستتج من الآراء التي طرحت سابقاً بعض النقاط التالية :

أ - ان المعركة بين الاسلام والآراء والافكار المناوئة له شرسة وفاصلة . وهي لم تنزل الى ساحة المواجهة السافرة بعد .. فالحرب ضد الاسلام دائماً مبطنة بمختلف الأكاذيب والاشاعات والتضليل .

ب - مقاومة هذه القوى المناوئة تتطلب بالاضافة الى النوايا الطيبة

أبداعاً في العمل والتنظيم .. والمفروض دراسة العقبات التي تعترض
المسيرة ووضع المقاييس الصحيحة لها ..

جـ - الاعلام الاسلامي في العالم الخارجي سلاح مهم من اسلحة
الدفاع عن الاسلام ..



(٤)

يحدد لنا رسول الله (ص) أسس الاعلام الاسلامي الصادق حيث يقول (ص) :

« لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فبان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب ، وان ابعد الناس من الله القلب القاسي » . فالاعلام المرهف الذي يستند على ذكر الله اعلام لا يبور .. والدعوة الى الله دعوة حق .. ويحدد لنا الرسول (ص) طريق العمل ، فمن التاريخ الصادق .. « عن ابي ذر قلت يا رسول الله اوصني ، قال : عليك بتقوى الله ، فانه رأس الامر كله ، قلت يا رسول الله زدني ، قال : عليك بتلاوة القرآن ، فانه نور لك في الارض وذخر لك في السماء » .. ويقول رسول الله (ص) أيضاً : « ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقصر في النفس وصدقه العمل ، وان قوما قد الهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

اعلام لا يفتأ عن ذكر الله ورجال تقاة يتلون القرآن وعمل يترجم
الايان الى واقع .. هذا هو الاسلام وهذا هو اعلامه .. اعلام صادق ..
اعلام موضوعي .. لا دخل للزيف والكذب والفوضوية فيه ..

ويندد الاسلام بالاعلام المزيف الكاذب .. يقول الله تعالى في
كتابه الكريم :

« ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم
ويتخلها هزواً اولئك لهم عذاب مهين » لقمان : ٦ .

وقد اجمع المفسرون على انها نزلت في رجل كان يجلب الجواري
لتغني للمسلمين حتى تستهويهم وتفتنهم وتحولهم من الاسلام الى الكفر ..

ويحدد الاسلام الاعلام المزيف بمصطلح الذين يأمرون الناس بالبر
وينسون أنفسهم .. وهذا يدل على ان الاسلام دين لا يرتضي التهريج
ولا يرتضي ان يكون الداعية داعياً بين الناس فحسب ، فالاولى ان يدعو
نفسه فتستجيب له ثم يدعو الناس .. يقول الله تعالى :

(اأمرؤن الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا
تفقلون) البقرة : ١٧٥ .. ويقول رسول الله (ص) : « ان الدين يأمرؤن الناس
بالبر وينسون أنفسهم يجرون فصبهم (اى امعاءهم) في نار جهنم فيقال
لهم : من انتم ؟ فيقولون : نحن كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا » .

ويزيد القرآن الكريم في تحديد ملامح الاعلام الاسلامي فيقول الله
سبحانه وتعالى مخاطباً المؤمنين الدعاة :

(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .
الاحزاب : ٧١

ان تجارب الاعلام الاسلامي والدعوة الى الله في العالم عديدة وقد
قامت في العصر الحديث محاولات ضمن نطاق العمل والدعوة للاسلام ..

وهذه المحاولات اتسمت بطابع الثورة اساسا لمواجهة التحديات واستئناف الحياة الاسلامية .. ومن هذه التجارب تجربة (الشهيد احمد بن عرفان) في الهند الذي استجاب له عدد كبير من الناس فجندهم وحمل امامهم راية الجهاد واستطاعوا ان يؤسسوا دولة اسلامية في مدينة (بشاور) شمالي الهند . غير ان الانجليز تأمروا عليها بدهاء ، وألبوا المسلمين من رجال القبائل ضدها ، مما أدى الى قيام معركة عنيفة بين الطرفين قتل فيها الامام وكبار اصحابه وذلك عام ١٢٤٦ هـ . ومنها تجربة الشهيد (الشيخ عز الدين القسام) الذي استجيا من الله ان يقرىء تلايذه احكام الجهاد ثم هو لا ينفّر معهم الى الانجليز الذين كانوا يحتلون فلسطين في ذلك الحين . فما كان منه الا ان استنفر تلايذه واتباعه وتدريب على القتال ودرهم عليه واعلن الجهاد على اعداء الله حتى سقط شهيدا عام ١٩٣٦ م .

ومنها تجربة الشهيد (نواب صفوي) زعيم حركة الفدائين المسلمين في ايران التي تؤمن بان القوة والاعداد هي السبيل الوحيد لتطهير ارض الاسلام من الصهيونية والمستمرين واقامة حكم الاسلام .. ولقد قاومت الحركة اعداء الاسلام في ايران مقاومة الابطال الى ان سقط نواب صفوي وعصابة من اخوانه بالرصاص قتيلا في سبيل الله عام ١٩٥٦ م . ومنها تجربة الشهيد (حسن البنا) في مصر حيث استشهد عام ١٩٤٨ برصاص الانجليز .

ومن تجارب العمل الاسلامي في الاعلام تجربة الوعظ والارشاد (تجربة جماعة التبليغ) وهو اسلوب يمارسه الوعاظ والمرشدون بشكل فرادي في غالب الاحيان وتمارسه جماعة التبليغ بشكل جماعي . وجماعة التبليغ تلزم اتباعها ببذل اوقات معينة للقيام بهذا الواجب ساعة في الاسبوع او يوما في الشهر او شهرا في السنة ، يقومون فيها بالدعوة الى

الاسلام في سائر انحاء الوطن الاسلامي .. وجماعة التبليغ مع حرارة دعائها في الدعوة الى الله وحماسهم وصدقهم واخلاصهم وصفائهم ؛ الا انه لا يقدر لها ان تكسب الجولة مع الجاهلية العاتية ان بقي اسلوبها الحالي نفس الاسلوب في المستقبل او اصبح سياسة مضطردة في سائر مراحل العمل وفي مختلف الظروف .. ويمزي فتحي يكن في كتابه (مشكلات الدعوة والداعية) اخفاق هذه الجماعة بما يلي :

أ - ان هذا الاسلوب لا يفضي بنتيجته الى اقامة جماعة مؤمنة قادرة على مواجهة الجاهلية وتحدياتها المتزايدة ، وبالتالي الى ايجاد المجتمع الاسلامي واقامة الدولة الاسلامية واستئناف الحياة الاسلامية .

ب - ثم ان مثل هذا الاسلوب سيبقى نطاق عمله محصورا في المساجد وروادها بمعنى ان اثره لن يمتد الى الآخرين الذين يمثلون اليوم السواد الاعظم من الناس والى قطاعاتهم المختلفة ..

ج - كما ان هذا الاسلوب لن يتمكن من مواجهة تحديات الأفكار والفلسفات المادية يرد عليها ، لأنه ينتهج في غالب الاحيان اسلوب الموعدة العاطفية المؤثرة واسلوب الترغيب والترهيب ، وهذا لا يمكن ان يؤثر في غير المتدينين اصلا ..

د - ومن ظاهر هذا الاسلوب انه ليس في تخطيطه - والله اعلم - ان يتابع البذور حتى تنمو وتصبح غرسا ليحنيها بعد ذلك ثمراً . وقد يكون ماثلا للاسلوب الذي اتجهه (طاهر الجزائري) و (جمال الدين الافغاني) والذي عبر عنه بقوله : « قل كلمتك وامش » وهذه الطريقة غير مضمونة النتيجة فضلا عن كونها بطيئة الاثر قليلة الثمر .. يقول الاستاذ ابو الاعلى المودودي (امير الجماعة الاسلامية بباكستان) مشيراً الى عقم اسلوب الوعظ والارشاد :

« يصبح ، من العبث الدعوة الى الاسلام على طريقة التبشير المسيحي . ولو طبعت ملايين النشرات تدعو الى التمسك بالاسلام وتصحح بالناس ان (اتقوا الله) صباح مساء . لما كانت ذا فائدة تذكر . اذ ما هي الفائدة العملية التي ستنتج عن تأكيد ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان وان فوائده ومزاياه ليس لها مثل عن طريق القلم والكتابة؟ ان حاجة العصر تتطلب ابراز هذه المزايا بصورة عملية في عالم الواقع . . ان مشاكل العالم المادية لن تحل بمجرد القول بأن الاسلام يملك حلها . . ان قيمة الاسلام الذاتية لا بد وان تبرز الى الوجود في هيئة نظام عملي مهيم يلمس الناس آثاره ويجنون ثماره . . اننا نعيش في عالم يقوم على اساس الصراع والكفاح ، والخطابة والوعظ لن تفلح في تغيير مجراه . ولكن الكفاح الثائر وحده هو الذي يستطيع ذلك » . . (رسالة داه المسلمين ودواءهم ص ١٥) (١) .

وتوالى التجارب الاسلامية في كل موقع من مواقع الاسلام في العالم . . وفي الوقت الذي تسمى فيه الأجهزة الاعلامية المعادية للاسلام (الاجهزة الصليبية والصهيونية والماركسية والرأسمالية وغيرها) الى طمس حقيقة الصراع الدائر بين الاسلام وتلك الفئات المناوئة نجد ان الاسلام يبقى شامخا كالطود يراه الداني والقاصي . . البعيد والقريب . . فقهرة الاسلام قوة ذاتية . . تجعله شامخ في كل شيء . . في الشخصيات . . في الاعلام . . في السياسة . . في الاجتماعيات . . في كل شيء . . فعندما يذبح الاسلام في جنوب شرقي آسيا نراه يولد من جديد في انكلترا . . وعندما يذبح في انكلترا يولد مرة أخرى في جنوب شرقي آسيا . . فهو دائما متجدد . . يولد دائما ولا يشيخ . . وهذا ليس سرا

(١) للتوسع راجع كتاب (مشكلات الدعوة والداعية) فتحى يكن - (موضوع تجارب الدعوة الاسلامية) الطبعة الثالثة ١٩٧٤ .

لأنه نظام ليس من إنتاج البشر .. انه نظام آلهي لم تستطع اصابع البشر
العبث به ..

ان الذي يركز عليه الاسلام هو بناء الانسان بناء المسؤولية والوعي
الوجداني والعقلي .. وبناء الثقافة والوعي السياسي الذي يخدم الانسان،
بحيث يكون الانسان المسلم في جو من القراءة والتوعية والاهتمام
بمشاكل العالم حتى اثناء وجوده في مكتبه او مصنعه او مدرسته او حقله،
وفي هذا الوقت اصبح محتسا علينا صنع هذا النوع من الانسان .. ان
الانسان الواعي يعرف كيف يدافع عن وطنه الجريح في ساعات الخطر ..
انه يعرف أي دور هو دوره وكيف يتحول الى جندي يحارب في الصفوف
القتالية الاولى .. في الخنادق العقائدية .. فالانسان النافع هو القوي
بعقله وليس بعاطفته او بجسمه . والى ان ندرك هذا سيظل الاستعمار
العالمي قادرا على التلاعب والتحكم بمقدراتنا ..

والاستعمار عندما يحارب الاسلام فانه يحاربه بصورة غير شرفية .
لنقرأ معاً هذه القصة الاعلامية التي حاكها الأيادي الصهيونية التي تعمل
في الظلام لدحر الاسلام وسوف نرى مدى تفاهتها وانحطاط مستواها
الفكري والخلقي :

« من جملة المسلسلات التي عرضها التلفزيون الالماني العربي
(ن.د.ر.) مسلسلا تلفزيونيا بعنوان (شالوم مصطفى) تم انتاجه
في اسرائيل .. وملخص الحلقة هي ان عائلة يعرفها الطفل مصطفى (وهو
عربي) ارادت الذهاب الى زيارة كيوتس ، وفي طريقهم رأوا بحيرة طبريا،
فأخذت المرأة تحكي كيف ان سليمان قد أمر باحضار الماء الساخن الى
البحيرة فسألها مصطفى : هل كان النبي محمد هنا ؟ فأجابته الأم بأنه
لم يكن هنا مطلقاً في يوم من الأيام وانما كان في الصحراء العربية . وحينما

وصلوا الى الكمبيوتر ... ذهبوا للنوم في غرف مريحة ، ولكن مصطفى رفض ان ينام مثلهم في غرفة ، وطلب ان ينام في حظيرة الماشية وأصر على ذلك فتركوه يذهب ولكنهم أرادوا أن يعرفوا لماذا يريد مصطفى ان ينام في الاصطبل ؟ فراقبوه واذا به يتناول سجادة للصلاة ، ويبدأ بالصلاة داخل الاصطبل . واخيرا هرب مصطفى واخذ يسير كالرعاة الى ان وجد جماعة من البدو فسلم عليهم وجلس بينهم وانسجم معهم ، وراحت العائلة الاسرائيلية تفتش عنه الى ان وجدته وطلبت منه ان يعود معهم ...» (١) .

ان مؤلف القصة اراد ان يقول بان المسلمين أناس جهلة يفضلون العيش في الاصطبلات .. حيث الاقدار والروائح المنتنة .. ولا يقتصر الامر على ذلك .. بل تجاوز حدود العيش فانتقل الى الصلاة أهم اركان الاسلام .. فأراد ان يقول بان المسلمين يصلون في الاصطبلات مع الحمير .. وأراد ان يقول ان النبي محمد (ص) لم يأت الى هنا .. أي لا مكان للإسلام هنا .. هنا مكان سليمان الذي ملأ بحيرة طبريا بالماء الساخن ..

سبحان الله .. أهذا اعلام يوجه الى الناس ؟ أين هذا من الاعلام الاسلامي ؟ القرآن الكريم يقول :

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سدينا يصلح لكم اعمالكم ويفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » .
الاحزاب : ٧٠ .

الاعلام الاسلامي اعلام صادق يستند على أسس اخلاقية ركائزه القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأحاديث الائمة والصحابة يستقرأ الواقع ويقيم الحاضر ويوزن الامور بميزان الحق وقيس القضايا بمقياس الاخلاق .. ورجل الاعلام المسلم .. رجل صادق ، متواضع ، مفكر ،

(١) اساليب الدعاية الامبريالية - خالد الراوي ص ٦٢ .

عالم ، نزيه ، متزهده ، قائم في الليل ، صائم في النهار ، ملتم بامور الناس ومشاكلهم ، يبذل جهوده المخصصة في حل مشاكل الناس ، مسلم بامور دعوته ، يعرف من أين يبدأ ويعرف من أين ينتهي ، يعرف مواقع الهجوم فيهاجم ، ويعرف مواقع الانسحاب فينسحب في الوقت المناسب وفي المكان المناسب حتى يبقى الآخرين في قبضته وتحت تأثيره .

ورجل الاعلام الاسلامي ملم بالافكار والاتجاهات السياسية المعادية للاسلام يدرسها بدقة من مصادرها الاصلية ويدرس الردود والشبهات حولها تم يستنبط آرائه التي يطرحها على الناس حسب الظرف والواقع . وهو يلم بلغة البلد الذي يعمل فيه للاسلام . . يستهلك ثقافة ذلك البلد . . يعرف وسائل اعلام البلد من الصحف والمجلات والكتب ودور النشر الى محطات الاذاعة المرئية والصوتية الى السينما الى المسرح الى كل ما يتصل بالحياة الثقافية والفكرية . .

الصورة واضحة تماما في ذهن رجل الاعلام الاسلامي من تصورات حول الكون والحياة والانسان الى العلاقات الاجتماعية الاسلامية الى حكم الاسلام في الزنا والسرقه والربا والكذب واللوط والخمر وغيرها . .

والنقطة الخطيرة في الاعلام الاسلامي هي ترجمة كل هذا الكلام الى واقع . . الى عمل . . الى نظام حركي في الارض . . لا يمكن ان يبقى الاسلام جامدا في المكتبات والرفوف المتربة . . ولا يمكن ان يبقى الاسلام جامدا في العقول . . فان دخول الاسلام في الازهان سوف يوعز الى الاطراف والعيون والجسد بالتحرك ضمن خط الاسلام وضمن منهج الاسلام وفي طريق الاسلام . . الطريق الطويل الذي مات في قطعه الوف الشهداء الذين سقطوا لتبقى كلمة الحق هي العليا وكلمة الباطل السفلى . . لأن كلمة الحق هي كلمة الله ، ولأن الله يوعد المؤمنين بالنصر المؤزر (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) صدق الله العظيم .

الشخصية الإسلامية

مؤسسة إعلامية

دراسات في الاعمال

(٢)

المجلة العلمية

مجلة علمية

زهير الاعرجي

كلية العلوم - جامعة الموصل

الطبعة الاولى

١٩٧٧ م ١٣٩٧ هـ

دار التعارف - بيروت ص.ب. ٦٤٣

دار الأنوار - بيروت ص.ب. ٨٦٠١

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اكتسب مفهوم الشخصية اهتماما بالغا من قبل المفكرين لما له من تأثير في بناء النفس والامة .. وقد جاء الاسلام وهو اعظم رسالات السماء ليرفع هذا الاهتمام الى فرض ، ويسمو بهذا المفهوم الى درجات عليا تجمع في الكائن المسلم مفردات تشكيل الكائنين : انسان الارض وملك السماء ، حيث يرحم الانسان لانجازه البناء ويثاب لارتفاعه بالبناء وهو بين هذا وذاك انسانا يمشي على الأرض وقلبه في السماء ..

الشخصية في الاسلام دولة .. والدولة لا تعيش في الخيال فهي رهينة الواقع .. لكنها (أي الشخصية) في نفس الوقت تتحكم بالمصير لأنها تمتلك الطريق الى المصير .. وهي وحدها القادرة على التحكم بهذا الطريق ..

وهذا هو موضوع الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في الاعلام .. الشخصية الاسلامية مؤسسة اعلامية .. هذا العنوان قد لا يعطي الشخصية الاسلامية حقها .. لأنها كما قلنا دولة .. والمؤسسة مفرد من مفردات التشكيل في الدولة .. والشخصية هنا ليست مؤسسة وكفى .. بل هي في مجال الاعلام مؤسسة وفي مجال الاجتماع مؤسسة وفي مجال العلم مؤسسة وهكذا .. وبالتالي فهي دولة في الذات .. ومنه تعالى نستمد الاعتصام وهو ولي السداد والتوفيق ..

المؤلف

بغداد ١٧ تشرين ثاني ١٩٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ربنا آتنا من لدنك رحمة

وهيىء لنا من امرنا رشداً »

صلى الله العظيم الكهف ١٠

(١)

في عالم الفكر هناك قضايا عديدة لم تحظ بتعريف موحد .. ولا
باسلوب منسّق يشد فيه الرأي الواحد أزر الرأي الآخر .. من هذه
القضايا قضية الشخصية ، ونقول قضية لانها مشكلة قد نفرق في تحليلها
قبل أن نصل الى الشاطيء ..

والشخصية مفهوم مستحدث ظهر مع ولادة علم النفس الحديث
واعتبر ميدانا مستقلا من ميادين علم النفس .. وقد برزت الحاجة
في الدول المتقدمة التي لا تؤمن بالاسلام الى ضرورة اعادة النظر في البناء
الاجتماعي والروحي والفكري للانسان بعد ان اظهرت المدينة الغربية
والشرقية افلاس ذلك الانسان الفكري والروحي والاجتماعي اولا وبعد
ان بلورت المواقف والحوادث افرغه العقائدي وشحته المبدئية ثانيا
وبعد ان اظهرت المؤتمرات واحصائيات الرأي العام تسيبه الفكري
واخفاقه في تحقيق تصور شامل عن هدف ما في الحياة ثالثا ..

ولهذا سعى بعض المفكرين في الغرب الى استحداث مفهوم جديد
لايقاف حالة التداعي التي يعاني منها الانسان الأوروبي .. وتقديس
حل جديد لمشكلة قد تغير وجه العالم ، وتقلب تاريخه رأسا على عقب ..
فاستحدث مفهوم الشخصية كمحاولة اخرى لبناء شخصية الانسان
الاوربي ، وسد الطريق امام أي فكر مناهض يسمي لبناء الشخصية
الاوربية من زاوية اخرى ..

ولأقى مفهوم الشخصية في البداية رواجاً هائلاً باعتباره مفهوماً يساهم في حل مشكلة الإنسان المعاصر الذي أخذ يحس وهو في قمة عطاءه العلمي والحضاري أن بنائه الداخلي ليس مكتسباً .. وأنه بحاجة إلى شيء يسد به نقصاً من نواقصه الكونية .. وأنه بحاجة إلى من يربطه بهذا الكون الذي لا مدخل له ولا مخرج .. وأنه بحاجة إلى ذلك الشيء الذي يحس وهو في قرارة ذاته بأنه لا يمتلكه ..

وجاءت مفاهيم الشخصية وهي لا تعبر عن طموحات ذلك الإنسان .. وأحس بالضيق مرة أخرى .. فهي لم تقدم له ما أراد أن يقول لها .. وهي لم تأمره بأن ينظر إلى السماء قبل أن ينظر إلى الأرض .. وبقي الضيق وبقي ذلك الإنسان يعيش في الدوامة ..

والشخصية إذا بقيت كمفهوم مجرد فهي لا تقدم أي شيء للإنسان .. أما إذا ارتبطت هذه الشخصية ببدأ وعقيدة وهدف في الحياة .. واستشعرت أن شيئاً من الأعلى دائماً يترصدها ويرقبها أينما حلت وحيثما ارتحلت .. فإن المفهوم الجديد للشخصية يكون له شكل آخر وبناء آخر ..

وقبل أن ندرس الشخصية الإسلامية من الناحية العقائدية والحضارية لا بد لنا من الإلمام بالشخصية كمفهوم عام ، ثم نراقب الشخصية في المجتمع الإقطاعي والرأسمالي والشيوعي ، باعتبار أن الشخصية في مجتمعات كهذه تعبير عن سلوك اجتماعي معين تحدده المفاهيم التي يمتنقها ذلك المجتمع ..

تعرف الشخصية بأنها ذلك المفهوم الذي يصف الفرد من حيث هو وحدة متكاملة من الصفات والمميزات الجسمية والعقلية والاجتماعية

والمزاجية التي تبدو في تعامله وعلاقاته الاجتماعية في المواقف المختلفة ،
والتي تميزه عن غيره من الافراد تمييزا واضحا . فهي تشمل دوافع
الفرد وعواطفه وميوله واهتماماته وسماته الخلقية وآراءه ومعتقداته
واتجاهاته ، كما تشمل عاداته الاجتماعية وذكائه وقدراته وميوله ومواهبه
الخاصة ومعلوماته وما يتخذه من اهداف ومثل وقيم اجتماعية ومن
فلسفة واتجاه في الحياة . .

ويحدّد الدكتور مصطفى فهمي (١) مقومات الشخصية بما يلي :

- ١ - العوامل التكوينية .
- ٢ - الذكاء والقدرات .
- ٣ - الانفعالات والمواظف .
- ٤ - العوامل الاجتماعية والثقافية .

١ - العوامل التكوينية :

على الرغم من ان الشخصية هي موضوع لدراسة نفسية ، الا اننا
لا نستطيع ان تجاهل اثر العوامل التكوينية البيولوجية في تكوين
شخصية الفرد وفي تشكيلها وتلوينها الى حد ما . ونعني بتلك العوامل
او المقومات حالة الجهاز الغددي والمصبي ويطلق الجهاز الغددي على
مجموعة الغدد الصم التي تصب افرازاتها في الدم مباشرة ، كالغدة
الدرقية والغدة النخامية . . هذه الغدد تفرز مركبات كيميائية عضوية
تسمى « الهرمونات » . ولقد ثبت ان لهذه الهرمونات اثرا عميقا في النمو
الجسمي والنضج الجنسي والاتزان الانفعالي وحالة الفرد المزاجية .

(١) الشخصية في سوانها وانحرافها - الدكتور مصطفى فهمي -
القاهرة ١٩٦٦ - ص ١٢ - ٤٣ .

فمن اهم الغدد التي تؤثر في سرعة نمو الفرد ، الغدة الدرقية وموضعها اسفل الرقبة امام القصبة الهوائية . ووظيفتها هي افراز الثيرونكسين ، وهو يؤثر في تنشيط الاعصاب . وأي نقص فيه يؤدي الى تأخر المشي والكلام والقدرة على تحريك الاطراف ، كما يجعل نمو العظام غير طبيعي ويؤثر في تكوين الجسم والهيكل العظمي ويجعله معوجا ، بالاضافة الى خشونة الجلد وعدم انتظام الاسنان وتأخر نموها . ومعنى ذلك ان هذه الغدة ان كانت ناقصة الافراز منذ الطفولة المبكرة أدى ذلك الى تعطل نمو الجسم ، والذكاء والحيوية ، كذلك فان ضعف نشاطها يؤدي الى ضعف عملية التمثيل الغذائي ، ويصبح الفرد خاملا بليدا ، ويصاب بالبطء في تفكيره وتذكره وحركاته . اما اذا كانت هناك زيادة في افراز الغدة ، فانه ينتج عن ذلك بروز في العينين ، وسرعة في التنفس : وتتابع في ضربات القلب ، وحساسية شديدة في الناحية الانفعالية ، وازدياد نشاط العمليات الحيوية في الجسم ، ويصبح الفرد قلقا متوترا سريع الاهتياج .

وتوجد الغدة النخامية في قاع المخ ، وتتكون هذه الغدة من جزأين هما : الفص الأمامي ، والفص الخلفي ، وتؤثر افرازات الفص الامامي في عملية النمو الجسمي ، فاذا نقصت هذه الافرازات ، يلاحظ تأخر النمو الجسمي ، ويكون ذلك على شكل ضآلة في الجسم ، وتأخر في النضج ووهن عضلات هيكل الجسم .

وتقع الغدة التيموسية فوق القلب ، والغدة صنوبرية في قاع المخ خلف الغدة النخامية . وتعرض الغدتان عادة للضمور قبل مرحلة البلوغ . وهذا الضمور يتيح فرصة العمل للغدد التناسلية . واذا لم تضمر هاتان الغدتان ، بقى الفرد - رغم نموه الجسمي - كالطفل في سلوكه ، وعاش ضعيف الارادة . وقد يحدث احيانا ضمور هاتين الغدتين في وقت

مبكر ، فتنشط الغدد التناسلية وتعمل السن المألوفة ، وعندئذ يحدث
النضج الجنسي المبكر .

والغدد التناسلية تفرز هرمونات ذات آثار هامة في النمو والسلوك .
فهي تنشط الدافع الجنسي ، وتمين على نضج الاعضاء التناسلية ، وعلى
ظهور الصفات الجنسية الثانوية كظهور اللحية وتضخم الصوت عند
الذكور ، ونمو الفخذين وبروز الصدر وترسب الشحم تحت الجلد
عند الاناث . ويبدو ان هذه الهرمونات من العوامل التي تساعد على
ظهور سمات الذكورة والانوثة الخلقية عند الفرد .

اما الباراثيرويد فهي عبارة عن اربع غدد صغيرة ملاصقة للغدد
الدرقية . وافراز هذه الغدد له علاقة بحاجة الجسم الى الكالسيوم
والفسفور ، ويتج عن نقص افراز هذه الغدد آلام في المفاصل ، كما
ينتج عن زيادة افرازها ليونة في العظام تجعلها مشوهة .

وفوق الكلتين غدتان صغيرتان يفرز نخاعهما مادة الادرينالين ،
وتسمى بالغدد الادرينالية . وتتكون كل غدة منهما من جزأين : جزء
خارجي ، وجزء داخلي . ويفرز الجزء الخارجي هرمونات لها علاقة كبيرة
بالمهارة العضلية وبالنواحي الجنسية والعقلية . اما افرازات الجزء
الداخلي فهي تقوي الجهاز السمباتاوي ، وتجعل الجسم أكثر قابلية
لمواجهة المواقف الفجائية . فكأن وظيفة هذه الافرازات هي تنشيط الفرد
تنشيطا عاما .

لاحظ عظمة الخالق في تنظيم العمليات الحياتية الدقيقة في الجسم

وصدق الله العظيم في قوله (انا انزلنا كل شيء بقدر) .

هذا عن الجهاز الغددي . . اما الجهاز العصبي فهو الذي يشرف
على جميع الوظائف العضوية ويؤلف بينها ، وبالتالي هو الذي يحقق

وحدة الكائن الحي وتكامله . وهو مجموعة من المراكز مرتبطة بعضها ببعض على الرغم مما لبعض المراكز السفلى من استقلال نسبي . واليهما ترد التنبيهات الحسية من جميع اتجاه الجسم ، سطحية كانت او عميقة . وعنها تصدر التنبيهات الحركية الى الغدد الصماء وغير الصماء والى العضلات المساء والمخططة .

والجهاز العصبي المركزي قسمان : قسم يشرف على وظائف التغذية والافراز يعرف بالسبتاوي ، وقسم يشرف على النشاط الحسي والحركي الذي يصل بين الكائن الحي وبيئته ، وهو مكون من المخ والمخيخ وقنطرة فارول والنخاع المستطيل والنخاع الشوكي (١) .

وفي الواقع ان هناك صلة بين الجهاز العصبي وبين مهارات الفرد الحركية ، وذكائه ، ومواهبه الخاصة . فالتكوين العصبي للفرد يرسم الحدود التي لا يستطيع النمو ان يتجاوزها . يضاف الى هذا ان اصابة المخ بتلف او عطب تقترن بها في العامة اضطرابات ملحوظة في الشخصية منها الامراض العصبية والامراض العقلية العضوية . وبالرغم من ان العوامل التكوينية هي عوامل بيولوجية لا دخل فيها للمخلوق فان لها تأثيراً كبيراً في صياغة الشخصية في التكوين والشكل .

٢ - الذكاء والقدرات :

الذكاء هو النباهة والتفطن ، والمهارة في معاملة الناس . ويميل العلماء الى اعتبار الذكاء قدرة عامة لا تكتسب عن طريق التعلم والخبرة والتحصيل ، وانما هي موهبة طبيعية يقذفها الله في عقول بعض الناس . وهم بذلك يميزون بين الذكاء وبين العلم والثقافة .

(١) د . يوسف مراد : مبادئ علم النفس العام .. ص ٥٢ .

ولقد اختلفت نظرة علماء النفس المحدثين الى الذكاء وتعددت تعريفاتهم . فقد عرفه « شتيرن » بأنه القدرة على تحقيق التكيف بين الشخص وبين المواقف الجديدة . في حين يعرفه « تيرمان » بأنه القدرة على التفكير المجرد ، اما « كلفن » فانه يعرف الذكاء بأنه القدرة على التعلم ، في حين يرى « بيرت » بان الذكاء هو القدرة المعرفية الفطرية العامة . اما « تورنديك » فانه يرى ان ليس هناك شيء اسمه الذكاء العام ، بل هناك عدد من القدرات الخاصة المستقل بعضها عن بعض ، وان ما يسميه الناس بالذكاء ليس الا المتوسط الحسابي لهذه القدرات عند الفرد . وقد ميز بين أنواع ثلاثة من الذكاء ، فهناك الذكاء النظري وهو يتألف من القدرات التي يستخدمها الفرد في معالجة المعاني والرموز ، والذكاء العملي ويتألف من القدرات التي يعالج بها الفرد الاشياء العملية والمواقف المحسوسة ، ثم الذكاء الاجتماعي ويتألف من القدرات التي تظهر في التعامل الاجتماعي بين الناس .

والاتجاه الحديث في موضوع الذكاء يرى ان كل النشاط العقلي المعرفي يتضمن عاملين رئيسيين : اولهما هو العامل العام الذي يدل على القدر المشترك القائم بين جميع نواحي النشاط العقلي المعرفي ، وثانيهما هو وجود قدرات خاصة كالقدرة اللغوية او القدرة العددية وغير ذلك .

ولكن هل معنى ذلك ان الذكاء لا يتأثر بالتعلم والخبرة ؟ والى أي حد يتأثر الذكاء بالعوامل البيئية ؟ ان موضوع الذكاء ومدى تأثيره بالعوامل البيئية .. ثقافية كانت ام اجتماعية - كان وما زال موضع دراسات ادت الى نتائج متعارضة - فلقد شاع بين العلماء في بداية القرن العشرين ان الذكاء كمية ثابتة ، وان النمو تسيطر عليه وتحدده عوامل وراثية معينة بحيث انه لا قبل للانسان بان يغير من نسبة ذكائه ،

اذ ينمو الذكاء مع الانسان بمعدل محدد ، وان نمو الانسان عملية تفتح تلقائي ذاتي .

غير ان نتائج الدراسات التجريبية قد وجهت الاتباه الى حقيقة هامة هي ان الجينات التي خلقها الله انما تفرض الحدود التي لا يمكن ان يتخطاها الفرد في نموه العقلي دون ان تضمن للفرد بلوغها والوصول اليها ، ولهذا يمكن ان يقال ان الجينات لا تحدد مستوى الذكاء على النحو الذي نقيسه عليه ، وان للخبرة والتأثيرات الحضارية والبيئية أثراً أكبر مما كان يظن من قبل .

ويقصد بالذكاء في علم النفس القدرة العقلية الموروثة الكاملة الشاملة . وهي قدرة موروثة او على الاقل فطرية ، بمعنى انها ليست وليدة التدريب او التعليم وهي عقلية غير انفعالية ولا خلقية ، وهي عامة غير نوعية ، بمعنى انها لا تقتصر على نوع بعينه من الاعمال وانما تدخل في كل ما نفعله او نقوله او تفكر فيه . وهي من الخصائص الذهنية الاكثر أثراً في حياة الفرد .

ويتعجب بعض علماء النفس من ان يسود مثل هذا الاعتقاد بثبوت الذكاء لدى اصحاب علم النفس والمربين الذين يؤمن اكثرهم ان في وسع الانسان تحسين حالة الذكاء وترقيتها بالتربية والتعليم ، كما رأى هذا البعض في ذلك لونا من عدم الاتساق او التناقض الفكري .

وفي الواقع ان البيئنة التجريبية لم تكن تؤيد كلها الزعم بثبوت الذكاء وانه قدرة ثابتة تحدها الوراثة الجينية ، بل اثبتت كثير من الدراسات ما للبيئة والعوامل الحضارية من اثر في الذكاء .

ويبدو ان الافراد الذين تزداد نسب ذكائهم يستطيعون الاستفادة اكثر من غيرهم من الفرص التي تتاح لهم للتعلم واكتساب الخبرات .

وهم لذلك يجمعون معلومات فكرية اكثر ، ويصبحون اكثر فاعلية في التعلم وحل المشكلات . .

ويدعم هذا الفرض دراسة مقارنة لسمات الشخصية بين مجموعتين: الاولى كان معدل سرعة النمو العقلي لأفرادها اكثر تناقضا . وقد وجد من النتائج التي اتضحت من هذه الدراسة ان المجموعة الاولى قد تفوقت في كثير من سمات الشخصية مثل الاستقلال ، والثقة بالنفس ، واطهر أفرادها ميلا اقوى في نواحي النشاط العلمي ، وكانوا اكثر فاعلية واكثر مثابرة ، وحققوا اشباعا ذاتيا اكثر في حل المشكلات ، وكانوا جادين في عملهم ، واكثر طموحا في مدارسهم ومعاهدهم ، وكانوا اكثر تنافسا في النواحي الدراسية والرياضية والنشاط الاجتماعي .

٢ - الانفعالات والمواقف :

تتميز الشخصية ببعض السمات الانفعالية والعاطفية . فنلاحظ مثلا ان هناك اشخاصا يميلون بطبعمهم الى التفاؤل والاستبشار ، او الى الاكتئاب والانقباض ، وآخرين معرضون الى ارتفاعات وانخفاضات في حالتهم الانفعالية الغالبة ، ونوعا آخر يستثار انفعاليا لاقبل الاسباب او يكون رقيق الاحساس والعاطفة وهكذا .

ويستثار الانفعال تحت تأثير عوامل داخلية او خارجية وللانفعال اثره في ابراز الدافع ، فأحيانا يقويه ، كما يحدث في دافع الهجوم ، ذلك ان الانفعال المصاحب لهذا الدافع (الغضب) من شأنه ان يقويه وينشطه . وحيانا اخرى نجد ان الانفعال المتسبب عن موقف ما ، قد يؤثر في الدافع فيضعفه ، كأن ينهار مقاتل عندما يرى ان العدو قد اطبق عليه فيضعف دافعه في القتال .

ومعنى ذلك ان الانفعالات تتصل بدوافع السلوك اتصالا وثيقا حتى اننا نستطيع في معظم الدوافع ان نميز انفعالا مصاحبا لها ، فدافع الهرب مثلا يصحبه انفعال الخوف ، والدافع الجنسي تتصل به الشهوة ، ودافع الامومة يلزمه الختان .

ولكن ليس من السهل علينا في الحياة اليومية ان نميز الى جانب الدوافع انفعالات بهذا التحديد . هذا اذا نظرنا الى الدوافع في ذاتها ، اما اذا نظرنا الى السلوك ، فقد جرت العادة على ان يقال : ان هذا السلوك « سلوك منفعلي » ، وذلك سلوك « غير منفعلي » . ويقصد بذلك ان الانفعال المصاحب للاول ، انفعال قوي ، في حين انه في الثاني انفعال هادئ . فالحياة النفسية اذن لا يمكن ان تخلو من الانفعال ان كنا بصدد سلوك نتج عن دافع . اما لماذا نعتبر بعض الاستجابات منفعلة ، بينما نعتبر البعض الآخر غير منفعلي ؟ . فان الاستجابات المنفعلة تنتج عن ظروف معينة نذكرها فيما يلي :

أ - عندما يكون الدافع قويا ، فهنا تصحب الاستجابة دائما حالة انفعالية ، يقوم الكيان العضوي تحت تأثيرها بمجهود مضاعف لتحقيق الغرض . فعندما يشتد دافع الجوع لدى الامة تنتج عن هذا حالة انفعالية تمثل في الغضب والقلق والثورة . . اما في الظروف التي يكون الجوع فيها محتملا ، او محاطا بظروف تخفف من حدته ، كما يحدث عندما تكون آلامه صائمة ، ففي هذه الحالة تقل حدة الدافع ومن ثم لا يصاحبه انفعال .

ب - عندما تقف عقبة من العقبات في سبيل تحقيق الدافع فان وجود هذه العقبة يثير الانفعال . ففي حالة ميل الفرد الى تملك شيء ما ، اذا كان الحصول على هذا الشيء ميسورا ، لا تحول دونه أية صعوبة ،

فليس ثمة داع الى وجود انفعال • وعلى العكس من ذلك اذا اعترضت الصعوبات هذه الرغبة ، فان من الضروري حدوث الانفعال الذي يحمل الفرد على ان يضاعف مجهوده للحصول على ما يرغبه •

جـ - الانفعال في الحالتين السابقتين من النوع الايجابي الذي يؤدي الى تقوية الدافع • غير انه هناك في بعض الحالات الأخرى انفعال من النوع السلبي ، ومن امثلة ذلك الانفعال : الشعور بالفرح والغبطة عندما يتحقق الغرض الذي يرمي اليه الدافع على نحو غير منتظر ، وكذلك عندما يزول عائق يقف ضد تحقيق الدافع •

والمهم في كل هذه الحالات : ان الشخصية الجيدة هي التي يتسم سلوكها وتصرفاتها ودوافعها بالاتزان الانفعالي •

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تلعب العواطف دورا هاما في الشخصية حيث انها تعتبر مقوما هاما من مقومات الشخصية الانسانية • والعاطفة استعداد نفسي ، ينشأ عن تركيز مجموعة من الانفعالات حول موضوع معين ، ذلك لأن هذا الموضوع في خبرة الشخص الماضية كان مثيرا لعدة ميول مختلفة ، وتنتج عن تكرار هذه الاستشارة ان اصبح الفرد مستعدا للاستجابة الانفعالية (على نحو ما) له ، استجابة تختلف باختلاف الموقف الذي يوجد فيه • فالعاطفة اذن هي عبارة عن اتجاه وجداني نحو موضوع بعينه ، مكتسبة بالخبرة والتعلم •

والفرق كبير بين العاطفة والانفعال • فبينما يكون الانفعال تجربة عابرة اذا بالعاطفة نزعة مكتسبة تكونت بالتدرج بعد ان مرت خلال تجارب وجدانية واعمال عديدة •

ان عناصر العاطفة ليست امورا جديدة ، اذ هي موجودة اصلا في نفس الفرد ، وانما تنتظم فيما بينها ، ثم تدخل في تركيب لم يكن موجودا من قبل •

ان هذه التراكيب او المجاميع الجديدة تكسب الحياة الانفعالية المتقلبة قدرا من الانسجام ، وهي تتجمع من جديد في مجاميع اوسع . وهذه بدورها حين تتجمع ثانية في نظام واحد شامل متناسق ، تكون ما نسميه بالشخصية . وتعطي العواطف الثابتة للحياة الوجدانية نظاما واتساقا نحو اهداف بالذات . .

ومعنى هذا ان العاطفة تتكون نتيجة لتجمع عدة انفعالات حول موضوع معين - غير انه مما ينبغي ان نلفظن اليه ان مجرد وجود هذه الانفعالات غير كاف لتكوين العاطفة ، ولكن لا بد الى جانب ذلك من توفر بعض العوامل التي من شأنها ان تساعد على تنظيم تلك الانفعالات في تركيبات جديدة تكون العواطف :

ا - التكرار : لا يكفي لتحويل الانفعال الى عاطفة ان يحدث مرة واحدة ، ولكن لا بد لذلك من ان تتكرر مرات حدوده حول الموضوع ، فالتكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال به ، وتركزه حوله ، الى جانب ما يشيره من انفعالات اخرى تدخل في تركيب العاطفة ، وذلك واضح في تكون عاطفة حب الام لابنها ، وعاطفة بغض الطفل لمدرسه ، فان تكرار الجنو في الحالة الاولى في مواقف متنوعة ، وكذلك تكرار انفعال الخوف في الحالة الثانية ، يعتبران النواة التي تجتمعت حولها الانفعالات الأخرى المكونة للعاطفة .

ب - الإيحاء والتقليد : كثيرا ما يظهر اثر هذين العاملين في تكوين العواطف الاجتماعية كالوطنية . فان امثال تلك العواطف انما تنشأ في احضان المجتمعات - فالفرد في الامة التي تسودها تلك العاطفة ، يضم صوته الى اصوات مواطنيه هاتفا بعظمة بلاده وسيادتها ، وبذلك يكون وطنيا .

٤ - العوامل الاجتماعية والثقافية :

يؤكد معظم علماء النفس ان شخصية الفرد تنمو وتتطور داخل الاطار الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه . فالمعروف ان الفرد يولد مزودا بأنواع شتى من الاستعدادات الجسمية والعصبية والنفسية ، تظهرها وتبلورها المؤثرات المختلفة من بيئته المادية والاجتماعية والثقافية . على ان أهم هذه المؤثرات هي التي تأتيه من تلك الجماعة الصغيرة التي تحيط به وترعاه في سنواته الاولى خاصة وهي الاسرة . فهي كمجتمع صغير عبارة عن وحدة حية ، لها وظيفة تهدف الى انماء الطفل انماء اجتماعيا جيدا . ويتحقق هذا الهدف بصفة مبدئية عن طريق التفاعل العائلي الذي يحدث داخل الاسرة والذي يلعب دورا هاما في تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه .

ويختلف التفاعل الاجتماعي بسعناه العام عن التفاعل العائلي ، في ان هذا النوع الاخير من العلاقات الاجتماعية ، يمتاز بخصائص معينة . تقوم على أسس من الود والاخاء والحرية والصراحة مع الاستمرار والدوام . وتلك صفات لا نراها بوضوح في أي علاقات اجتماعية اخرى ..

ان الطفل في هذا الجو العائلي يتعلم كيف يعيش ، وفيه ينمو ، وتكون شخصيته وعاداته ، واتجاهاته ، وميوله ، واسلوبه في الحياة . ولكي ينمو الطفل نموا صحيحا يجب ان تتوفر في هذا الجو الامور الآتية:

أ - ان يشعر الطفل انه مرغوب فيه ، محبوب . وتحقيق هذه الحاجات النفسية عن طريق الوالدين والاخوة يعتبر الدعامة الاولى لتقوية الروابط الوجدانية بين الاطفال وذويهم . وان طفلا يترعرع في جو من الخوف او الكراهية او الاحساس بالاثم ، لخليق ان تتنابه نزعات عدوانية شريرة .

ب - تعتبر الاسرة المسرح الاول الذي ينمي فيه الطفل قدراته .
ويمكون ذلك عن طريق اللعب ، ومشاركة رفاقه في لهوهم وخبراتهم . ولا
شك ان للتشجيع والمنافسة المشروعة اثرها في نمو هذه القدرات وتطورها .
ويحسن الانصدم الطفل بأمر لا يفهمها ، او يصعب عليه القيام بها حتى
لا يدب اليأس الى نفسه .

والطفل في السنوات الاولى يسيل الى ان تشعره بذاتيته وبأنه فرد
يستطيع ان يقوم بأعمال ، ولذلك فراه كثيرا ما يلفت نظر من حوله
ليشاهدوا ما يقوم به من اعمال ، ويحسن اذ ذاك ان نغمدق على هذه
الاعمال بكلمات الاستحسان والتشجيع : فالطفل اذ يقوم بنشاط معين انسا
يريد ان يشبع حاجة من حاجاته النفسية ، واعني بها الحاجة الى التقدير .
ج - يستطيع الطفل في محيط الاسرة ان يتعلم كيف لا يكون انايا ،
بمعنى انه يتعلم كيف يحترم حقوق الغير ، كيف يتلائم مع غيره من افراد
الاسرة ، من والدين واخوة واقارب .

د - يتعلم الطفل في الاسرة المبادئ الاولى التي يسير عليها في
التعامل مع الغير ، ويكون ذلك عن طريق ملاحظته لسلوكهم واستجاباتهم
في المواقف المختلفة . فالاطفال في هذه السن المبكرة يكتشفون ويحسون
بكل ما يدور حولهم ، وتصدر منهم عبارات ساذجة فيها تحليل كامل
لسلوك من حولهم من افراد .

هـ - يكون بعض الاطفال في هذه السن المبكرة بعض الاتجاهات
بطريقة لا شعورية ناتجة اساسا من اسلوب التربية الخاطيء الذي يعاملون
به . ومن هذه الاتجاهات ما يتكون نحو الوالدين ، ان الوالد في نظر
بعض الاطفال انما هو رمز للسلطة .

و - يكتسب الطفل - نتيجة تفاعله وخبراته في الأسرة - مجموعة من العادات العادات ، عادات خاصة بالماكل والملبس والطعام وطريقة المشي والكلام والجلوس والاستحمام والنوم ومخاطبة الناس .. الخ .

ز - وللأسرة وظيفة اخرى ، فمن طريقها يتعلم الطفل العقيدة والافكار التي تدل على التسامح او التعصب . وفي هذا يقرر بعض علماء النفس « ان الاتجاهات الوالدية هي نتاج للمؤثرات الثقافية السائدة في المجتمع . فالآباء هم المصدر المباشر للمعتقدات والاتجاهات وانماط السلوك الاجتماعي عن طريق ما يفرسونه منها في النشء .. انهم الاساس التربوي للمجتمع . وما تقوم به المدرسة ودور العبادة ، وزملاء اللعب وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية انما هو لتأكيد دور الأسرة وبلورته .. » .

ان الأسرة تكاد تكون الاداة الوحيدة التي تعمل على تشكيل شخصية الفرد ، وبلورة الخصائص التي يتميز بها كفرد له دور اجتماعي معين . وتتم عملية التشكيل بحسب الانماط الثقافية للمجتمع ، وبحسب الاطار الاجتماعي الذي يتحرك فيه ويتفاعل معه . ان الأسرة هي الاداة الرئيسية تقريبا التي تنقل الى الفرد كافة المعارف والمهارات والاتجاهات التي تسود المجتمع ، بعد ان ترجمها الى اساليب عملية لتنشئة النشأة الاجتماعية . فالأسرة تنتقي من التراث الثقافي بما يحتويه من ذخر هائل من العادات والتقاليد والقيم والاتجاهات تنتقي منه ما يوائم ظروفها الخاصة وتاريخها وتقاليدها ومكائنها الاجتماعية والثقافية ..

وبهذا تعمل الأسرة في تنشئة الفرد وتكوين شخصيته في اتجاهين متداخلين : احدهما هو تطبيعه بالطباع التي تتمشى مع ثقافة المجتمع بصفه عامة ، وثانيهما هو توجيه نموه في داخل هذا الاطار في الاتجاهات التي تتمشى مع ثقافة الأسرة ذاتها .

وباتساع المحيط الاجتماعي للطفل يتعرض لمؤثرات اخرى خارج الاسرة ، من زملائه في المدرسة ورفاقه في اللعب ، ومما لا يتفق له ان يقرأه او يسمعه او يطلع عليه . فاذا ما شب عن الطوق واتيح له ان يبسط صلاته الاجتماعية عن طريق مهنته او زوجته واولاده ، وعن طريق المؤسسات الثقافية والادوار المختلفة التي يقوم بها في هذه المجالات المختلفة . تعرض لمؤثرات اخرى يكون لها بعض الاثر في تحوير سمات شخصيته او تهذيبها او العمل على تركها . والفرد في اثناء هذا التفاعل المطرد مع الكيان الاجتماعي والاطار الثقافي الذي يعيش فيه تتكون شخصيته وتنمو ويتعين شكلها ، ويتخذ سلوكه نمطا معيناً ، ويتعدل بفعل ما يمر به من خبرات .

ومعنى هذا ان الشخصية لا تتكون وتنمو الا نتيجة لتفاعل التكوين البيولوجي للفرد مع العوامل البيئية الاجتماعية والثقافية .

ان الشخصية في العرف العام هي محصلة تفاعل عوامل بيولوجية مع عوامل اجتماعية ثقافية بوجه عام . فللمجتمع والثقافة الميزة اثر كبير في شخصيات افراده ، فثقافة المجتمع بدرجة كبيرة اكتساب الفرد للكثير من عادات الحياة اليومية في المأكل والملبس والمشرب وللتقاليد والمثل وفلسفة الحياة التي يسير عليها . بل وكذلك تؤثر في طرق التفكير والتعبير عن الانفعالات والعواطف ، وفي تعلم قيم الحق والباطل ، والعدل والظلم والجمال والقبح . . الى غير ذلك من العادات والاتجاهات والقيم . ويمكن ان يقال ان الشخصية هي مرآة تنعكس عليها صورة الثقافة ، فتتأثر بالاطار الثقافي العام للمجتمع الذي تعيش فيه ، وكذلك بالكيان الاجتماعي الذي تنتمي اليه ، هذا فضلا عن ظروف الاسرة المباشرة . ومن ثم تتشكل هذه الشخصية تبعا لثقافة المجتمع ، وللثقافة الخاصة التي تنتمي اليها .

هذه هي مقومات الشخصية بشكلها العام وقد استندنا في نقلها الى المصدر الآنف الذكر .. وهي بهذا الاسلوب لا تقدم شيئاً جديداً يمكن ان يضاف الى المدرسة الفكرية التربوية او الى النظام الاجتماعي القائم .. ونحن نحس ان هذا العرض لا يعطي الصورة الحقيقية المتكاملة للشخصية التي يعبر عنها الانسان الحضاري ..

(٣)

نرى الآن تكوين الشخصية في المجتمعات كل حسب مبداءه .. ففي المجتمع الاقطاعي نلاحظ ان الشخصية بنوعها (شخصية الفلاح الكادح ، وشخصية الاقطاعي المترف) مهزوزة ، قلقه ، لا تستند على أسس منطقية وليست لها مقاييس موضوعية .. تتحكم بها الفردية .. الارتجال .. الارهاب ، الجهل ، شحة الروحية ، اللا اخلاقية .. وهي بذلك ترسم لنا صورة مشوهة فعلا للشخصية الانسانية ..

اما في المجتمع الرأسمالي .. فان الحرية التي يكتسبها الشخص في ذلك المجتمع لا ترسم في مخيلته صورة الالتزام .. فحدود حرته تنتهي عندما تبدأ الاضرابات والمشاغب الفكرية والفوضى الاقتصادية .. اما الالتزام الخلقي .. اما الالتزام الديني .. فهذا كله يعيش في ضمير المكتبات لا في ضمير الامة ..

فالشخصية في هذا المجتمع .. شخصية ناقصة .. ليست لها حدود وليست لها ضوابط .. لا تعدو ان تكون مجرد شبح خافت لا يعيش في ضمير الامة ولا في ضمير الفرد ..

اما في المجتمع الاشتراكي ومن ثم الشيوعي .. فالشخصية هنا

تختلف تماما ، لأنها تفقد احد اهم عناصرها الأساسية ، وهو الايمان بالله .. فالانسان بطبيعته يمتلك التصور .. والتصور نتيجة حتمية للتأمل والتفكير .. ويعبر عن العلم دائما بأنه انطباع صورة الشيء في الذهن .. والتصور له حدان لا ثالث لهما اما تصور صائب واما تصور خاطيء .. وصواب التصور تشكيل صائب لمفردات هذا التصور .. والعكس صحيح .. فلو كان تصور الانسان للكون صائبا فالمفروض بديهيا ان تكون مفردات هذا التصور صائبة .. وأساس المفردات هذه هو الالمام بالصورة المتكاملة لهذا الكون وخالق هذا الكون .. فكيف بنا امام مفرد عاجز لا يستطيع الالمام بنفسه .. أيستطيع هذا العاجز تشكيل مثل هذا التصور ؟ .. والنظرة الماركسية تصور عاجز .. وناقص ، لأن مفرداتها عاجزة عن تشكيل أي تصور متكامل عن الكون والحياة والانسان .. والشخصية مرآة لمبادئها ومفاهيمها وشخصية تمتلك مبادئ ناقصة عاجزة لا بد ان تكون عاجزة عن تشكيل مفاهيم أساسية عن الكون والحياة والانسان ..

(٤)

ان صياغة شخصية تعطي الانسان بعدا حضاريا عظيما ، وتجعله قادر على ابتداع نموذج حضاري للبشرية .. وتخلق من ذلك الانسان المبعثر ملكا يمشي على الأرض .. ان صياغة هذا الشكل من الشخصية لا يمكن ان تتم الا بتوافر قاعدة فكرية اصيلة ونظام آلهي اسمى من نتاج أية خلايا دماغية لانسان ما ..

وهذه القاعدة الفكرية وهذا النظام لا يتوافران الا في الاسلام .. لكون الاسلام نظام آلهي تكتمل فيه مفردات التشكيل اولا ، ولكون

الاسلام تكوين يستوعب جميع المفردات ثانياً .. فهنا لا افراط ولا تفريط،
ولا غلق ولا تجريد .. بل تقدير وترتيب ، وانفتاح وتجديد ..

والشخصية في الاسلام مركز علاقات وعصب مواصلات .. علاقة
الانسان بالله .. علاقة الانسان بالكون .. علاقة الانسان بالمجتمع ،
فالعلاقة الاولى جبلها الايمان والروحانية ، والعلاقة الثانية جبلها الفكر
والمقل والتأمل ، والعلاقة الثالثة جبلها الاخلاق والثقافة .. وهي
بمجموعها تشكل في النفسية الاسلامية عقدة التقوى ..

والشخصية في هذا التكوين مقاديرها موزونة .. فالحب ميزان ..
والحزن والفرح حدود .. والعبادة مواقيت زمنية .. والفكر محطات
زمنية .. والعمل عبادة .. وذكر الله ، عمل بلا حدود ضمن اطار الطاقة
الانسانية ..

والشخصية في التكوين الاسلامي هادفة – بمعنى انها تسعى لضبط
مفرداتها وتدقيق اركانها حتى يكون التشكيل ممثلًا امام خالقها
وبارئها رب العالمين ..

والشخصية الاسلامية مؤسسة متنقلة في الاعلام والفكر .. هذه
المؤسسة تحمل في جهازها ارقى رسالات السماء واعظم كتب السماء
والارض (القرآن) ..

ان الشخصية الاسلامية لها أسس ترتكز عليها في تثبيت اركانها
السلوكية .. هذه الاسس يمكن اجمالها كالآتي :

١ - الفكر .

٢ - العاطفة .

٣ - الروح .

٤ - الهدف .

٥ - الجسد .

٦ - القيادة والحركية والايجابية .

٧ - التقوى .

هذه الأسس ليست متحاجة بل متفاعلة فيما بينها ، والغاء أي منها يؤدي الى نقص في التشكيل وضمور في الاداء ..

ان استثمار هذه الأسس استثمارا موضوعيا متناسقا كفيل بصياغة التكوين وتحرير الشكل من ادران الجاهلية ومشتقاتها ..

١ - الفكر :

هناك من يدعو الى (انفتاح فكري) في الشخصية الاسلامية .. لأن الانسان ان يعلق فكره .. فتلك هي قمة المأساة !! .. ونحن نضيف ان الانفتاح الفكري ليس غلا في الاسلام .. وانما يحمل من الاصاله ما يجعله يولد مع وده الاسلام دائما وفي كل مكان ..

والاسلام يعطي الفكر لونا جديدا .. وطعما جديدا عندما يربطه بحلقة الايمان وسلسلة التقوى ..

والانفتاح الفكري في الاسلام يعني ان الانسان المسلم ملزم بأن يعيش في عوالم فكرية قد تناقض الفكر الاسلامي او قد تؤيده .. ثم يخرج من هذه العوالم بدراسات نقدية ودراسات مقارنة يبيّن فيها وجهة نظر الاسلام وموقفه من التحديات الفكرية الراهنة ..

ان خالق هذا الكون وخالق هذا الانسان حين يقرر ان التفكير ركن من اركان الاسلام وطريق يوصل ذلك الانسان الى الايمان برب العالمين

يعلم ان في فطرة الانسان حاجة غريزية للفكر .. وان في عقل الانسان من جهة أخرى فيض غريزي من الفكر .. هذا الفيض فيه عطاء .. وفيه ثمر ..

ان الفكر الشريف اذا ازدوج بالهدف ونبت في شخصية الانسان .. كان ذلك الانسان شاهدا على الناس بمعنى انفصال الشاهد عن المشهود .. لنقرأ معا النص التالي الذي كتبه يد مسلمة استحيت من الله ان تكتب اسمها الصريح .. ونستشف من النص مجملا رائعا للعقيدة الاسلامية .. تبين مدى ما تحمله الشخصية الاسلامية من فكر ..

« الاسلام دين فذ بين الاديان ودعوة اجتماعية وانسانية فريدة في واقعتها واصالتها بين الدعوات الاجتماعية والانسانية .

فان التصور المعاصر للدين - وهو تصور اشاعه اعداء الاسلام في بعض الاوساط المسلمة - يتلخص في ان الدين حالة وجدانية خالصة ودعوة روحية صرفة ، واذا كان الدين حالة وجدانية فهو نشاط فردي متروك أمر الاستجابة له والانخزال عنه للفرد ولا علاقة له بالمجتمع ، واذا كان دعوة روحية فهو لا يعني بنشاط الانسان الدنيوي المادي من قريب ولا من بعيد ، بل هو - وهذه طبيعته - بحمل الانسان على التجرد من عالمه الدنيوي مهما استطاع .

والتصور المعاصر للدعوة الاجتماعية - وهو تصور ارتضاه الغريون لانفسهم يتلخص في ان الدعوة الاجتماعية نظام دنيوي بحت ، لا يعني بشير المادة وتقلب الانسان فيها ، ويمجد كل نشاط مادي ، ولا يقيم وزنا لأي جهد بشري يهدف الى غاية غير مادية .

ولا يفوتنا التنبيه على ان التصور المعاصر للدين تتاج مسيحي خالص ، فالمسيحية الرسمية - وهي تقف موقفا سلبيا من كل نشاط

دنيوي - اتخذت من قبل المستعمرين المسيحيين نموذجاً لكل دين واعتبر هؤلاء ان موقف جميع الاديان من الحياة الدنيوية هو موقف المسيحية ذاته لأن النشاط المبذول في سبيل غاية مادية رجس يحول بين الانسان وبين الطهارة والسمو ، كما ان التصور المعاصر للدعوة الاجتماعية ثمرة من ثمرات نظرة الحياة الاوروبية الى الانسان .. فان الانسان الاوروبي الحديث - بعد ان عجزت المسيحية ، لما فيها من سلبية ، عن تقديم الحلول الصحيحة لمشاكله الآتية وتنظيم حياته الدنيوية على النحو الذي يلبي حاجاته كإنسان يسمى الى السعادة الدنيوية - رفض الدين مثلاً في المسيحية واتجه شطر العلم المادي الذي لا يملك القدرة على تبين ما وراء المادة من قوى غير منظورة ، فقامت الحضارة الاوروبية المعاصرة على فكرة ان الانسان حيوان لا يميزه أي شيء عن سائر الأنواع الحيوانية سوى الفكر ، انه كتلة من المادة الحية فقط ، والمادة هي كل كيانه المنظور ، ولذلك فعلى كل دعوة توضع من أجله الاتهم بغير هذه المادة وحاجاتها .

ولكن الانسان في الاسلام غيره في المسيحية وغيره في الحضارة الحديثة . انه ليس روحاً يلوثها كل نشاط مادي وليس مادة يشلها عن ممارسة الحياة كل اهتمام بالروح وحاجاتها وانما هو مادة وروح : مادة لها حاجاتها ومطالبها التي لو حبست منها لشل الانسان ، ولاستحال الى كائن سلبي لا يعمر الحياة ولا ينفع الاحياء ، وروح لها مطالبها وحاجاتها التي لو حبست عنها لغدا الانسان حيواناً يدمر الحياة والاحياء ، حيواناً توجهه الغريزة الاكول دون ان يكون لها طابع من خلق او ضمير .

وهكذا نظم الاسلام حياة الانسان على أساس الاعتراف بشطريه : الروحي والمادي ، هذين الشطرين اللذين اذا توحدوا وانسجما كان منهما الانسان القادر على ان يرتفع الى مرتبة الملك بما فيه من قوى الروح ،

والقادر على ان يهبط الى مستوى الحيوان بما فيه من قوى المادة وهو بالخيار بين هذا وذاك .

وقد تضمن اعتراف الاسلام بهذه الثنائية في طبيعة الفرد الانساني حالا لمشكلة هذا الفرد الذي كان - ولا يزال في مجتمعات كثيرة - ممزقا بين الدعوات التي عميت عن ادراك طبيعته الثنائية فجعله بعضها روحاً خالصة وجعله بعضها الآخر مادة خالصة .

والانسان الفرد ليس معلقا في الفراغ اذ يعيش وينمو في مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به ، يأخذ منه ويعطيه مجتمع فيه الأقوياء والضعفاء ، والاشرار ، والأغنياء والفقراء ، مجتمع يعارض فيه مصالح بعض افراد مصالح بعضهم الآخر ، وتصطدم هذه المصالح الخاصة في احوال كثيرة مع المصلحة العامة ، ولا بد لنظام كوني ذي نظرة شاملة الى الوجود من ان ينظم هذا المجتمع على النحو الذي يحمي ضعفاؤه من اقويائه . ويؤمن اخياره من شريريه ، ويمدل بين اغنيائه وفقرائه ويرسم للافراد حدودا يقفون عندها في مسارتهم لحررياتهم الشخصية ، وللمجتمع حدودا لا يتعداها في تقييده لحرريات الافراد وقد اشتمل الاسلام على كل هذا ، فلم يدع المجتمع للاهواء تتحكم في تركيبه ، وللنزعات تتقاذف اجزاؤه ، بل اشتمل على نظام للاجتماع فصل فيه الحدود التي تنتهي عندها حرية الفرد ، والحدود التي تبتدىء بها مسؤولية المجتمع وفصل فيه دور الفرد في الاسرة . ودور الاسرة في المجتمع ، وواجبات كل من الفرد والاسرة والمجتمع وحقوقه ، واشتمل على نظام للاقتصاد يكفل توزيع الثروة العامة بالعدل ، وبحيث تباح لجميع فئاته ان تنعم بمستويات من العيش متقاربة لا تتسع فيما بينها المسافات التي تحمل على ان يحل الصراع - بدل التعاون - بين الطبقات ، واشتمل على نظام في القضاء يتمتع بمستوى من الاستقلال والنزاهة لا يحاربه فيه نظام - واشتمل على نظام في السياسة نعرف منه كيف يكون العمل السياسي خدمة

وعطاء وعملا من أجل الشعب ، بدل ان تكون تجبرا ، ولصومسية ، واستغلالا للشعب ، وكان واقعا في كل ما اشتمل عليه من نظم ، فلم يضح في سبيل مثل عليا طوبائية بالمصالح الاجتماعية الواقعية .

والانسان - باعتباره فردا في مجتمع - موضوع جذب ودفع بين نظريتين في الاجتماع متضادتين كالتا - ولا تزالان - تتصارعان بغية الغلبة على المجتمعات الانسانية . نظرية تنادي بان المجتمع هو الحقيقة النهائية المطلقة ، وترى ان على الفرد ان يفنى في المجتمع ، وتنكر ان يكون للفرد أي دور قيادي في المجتمع فتهمل الفرد ، ولا تأبه لهوموه ومطامحه وحاجاته الخاصة ، وتمثل هذه النظرية في العصر الحديث الفاشية والنازية والماركسية . ونظرية أخرى تنادي بأن الفرد هو الحقيقة النهائية المطلقة ، وما على المجتمع الا ان يهيء جميع فرص النمو والازدهار للفرد ، وان حطم ذلك مصالح المجتمع ، لأن جميع المظاهر الاجتماعية والقيم السياسية لم تخلق الا للاسهام في ازدهار الفرد ازدهارا كاملا ، ويمثل هذه النظرية مبدأ الليبرالية الاحرارية ، والفوضوية .

اما الاسلام فلم يتبنى هذا الاتجاه ولا ذلك ، لأن كلا منهما يأخذ جانبا من الحقيقة الواقعية ويهمل جانبا الآخر ، فيتردى في الضلال . الانسان كائن ذو رغائب ، ومطامح ، وقدرة على الابداع ، والانسان عضو في مجتمع يكسب منه ويعطيه ، ويفيده من ذاته ، ويستفيد منه ، هذا هو الواقع الموضوعي الذي يفرض نفسه بالحاح . والنظام الشامل اما ان يهمل أحد وجهي هذا الواقع ويعني بالآخر فيدخل في العبث ، لأن النظام وجد من أجل الانسان ولم يوجد الانسان من أجل النظام ، واما ان ينكر احد وجهي الواقع ويعترف بالآخر فيدخل في الخرافة التي تنكر الواقع وتنطلق في سماوات التجريد ، واما ان يعترف بكل وجهي الواقع فيكون نظاما انسانيا ، لأنه النظام الذي يهيء للانسان فرص الازدهار

في نطاق ذاته وفي نطاق المجتمع ، وهذا هو ما صنعه الاسلام فقد وازن بين الانسان فردا والانسان عضوا في المجتمع وهياً لكل منهما مجالاً من الحرية يتيح له ان ينمو وان يكون عامل ازدهار للآخر .

وكما اشتمل على نظم تنسق مختلف وجوه النشاط الانساني لمعتقيه على الصعيد الفردي والاجتماعي ، اشتمل ايضا على نظام للسلام والحرب حدد فيه موقف معتقيه من سائر المجموعات الانسانية التي اتخذت لنفسها في الحياة دينا غير الاسلام . فلم يجعل من معتقيه امة ذات روح عدوانية تهدد حريات الشعوب الأخرى وامنها ، كما لم يجعل منهم امة لا كيان لها ولا شخصية ، يستطيع كل فاتح ان يستذلها ويسومها الخسف ، بل حرم على المسلمين كل لون من ألوان العدوان ، وأقام بعد ذلك - علاقة المسلمين بسواهم على أساس ان كل جماعة بشرية تريد الاتصال بالمسلمين من أجل التعاون معهم على الحق والخير والعدل فعلى المسلمين من اجل التعاون معهم على الحق والعدل فعلى المسلمين ان يسهموا معها مهما استطاعوا في نشر ألوية الحق والخير والعدل ، وان كل جماعة بشرية تريد الاتصال بالمسلمين لتسترقهم على الصعيد السياسي ، والاقتصادي او الثقافي ، او عليها جميعا ، فعلى المسلمين الا يقابلوا هذه الجماعة بذرة واحدة من التسامح بل عليهم ان يحاربوا هذا العدوان في جميع الميادين وبكل ما يقدرون عليه من أموال وأنفس وعتاد» (١) .

هذا هو فكر الاسلام وهذه هي آراؤه في الروح والعقل والعلاقات الاجتماعية . . والفكر مفرد من مفردات الشخصية الاسلامية . . وعنصر أساسي من عناصر التشكيل . .

انظر الى قول الله تعالى في التفكير :

(١) ابو ابراهيم - مجلة الاضواء العدد الرابع ، السنة الاولى -

(ان قوموا لله مثني وفرادى ثم تفكروا) سورة سبأ : ٤٦ . (قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون) الانعام : ٥٠ . (او لم يتفكروا النحل : ٦٩ .

في انفسهم) الروم : ٨ . (فيه شفاء للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون)

هنا العبادة والتفكير في اطار واحد .. لا عبادة بدون تفكير .. ولا تفكير بدون عبادة .. في التفكير يستشف الانسان حلوة الايمان ، وفي الايمان يستشف الانسان حلوة الاتصال بالله تعالى ولا تترجم مفردات الايمان الا بالعبادة .

والتفكير هي المحطة النهائية المؤقتة لكل تجربة يخوضها الانسان، وهي المحطة التي يسترجع فيها الضمير حساباته السابقة مع نفسه ، ومع الناس ومع الله .. والتفكير اداة التطور وعنصر الحضارة .. وبالتفكير يستطيع الانسان ان يتجاوز اخطاء الحاضر ويتخطى مساويء الماضي ويرسم في ذهنه صورة المستقبل ..

الشخصية الاسلامية .. شخصية مفكرة .. عاقلة .. مدركة ، تمتلك الوعي وتمتلك الايمان .. وتمتلك القابلية على العطاء الفكري بخصوبة وباخلاص .. وتمتلك القدرة على استنباط معطيات الواقع وتحليله ووضع مفردات هذا الواقع كل في زاويته وموضعه .. وقادرة على استقراء صيغ الحاضر وعبر الماضي وتطلعات المستقبل .. وهي ليست مغلقة الذهن .. لأن انغلاق الذهن معناه شلل نصفي يصيب الانسان المسلم ..

فالفكر والروحية نصفان يكمل احدهما الآخر .. فبالفكر نستطيع استكشاف معاني الايمان بالله .. وبالروحية نستطيع مدح حب الايمان الى الخالق العظيم الذي خلق وانزل كل شيء بقدر ..

٢ - العاطفة :

العاطفة نزعة مكتسبة عن تجارب انسانية .. وهي شعور انساني مركز

نحو شيء ما .. قد يكون حيا بطبيعته المادية او بذكراه ..
والعاطفة في الاسلام مفرد من مفردات الشخصية .. وتوجيه العاطفة
نحو هدف ما عمل كبير في حياة الشخص .. فالعاطفة الهادفة تجعل
الانسان وهو في اسمى حالاته العاطفية انسانا يمتلك زمام نفسه ، ويمتلك
رباط جأشه .. وهذا ما سعى اليه الاسلام ..

فعاطفة المسلم مرهونة بذرات تفكيره .. ومنسجمة بانسياب مع
شفافية روحه الصاعدة بشوق الى السماء .. تلك العاطفة التي تجعله
وهو في اذكى لحظات الخشوع عينا تفيض بالدمع .. وقلبا يفيض بالحنان
والرهبة ولسانا يفيض بالشكر والثناء لخالق الأرض ورافع السماء ..
تلك العاطفة التي جعلت من عبادة الله سلوى وتضرع وخشوع ..

«الم يان للدين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
وكثير منهم فاسقون» الحديد - ١٧ .

(الم يان لهؤلاء الذين اضاء الایمان عقولهم ، وتمكنت العقيدة من
نفوسهم ، وتبين لهم الحق متجسدا في اشرف رسالات السماء ، ان يفجر
هذا الایمان في نفوسهم موجا من العاطفة ، ويشيع فيها انفعالا خاصا يتفق
مع طبيعة ذلك الایمان وجوهره ، حتى تمتلئ قلوبهم بالخشوع للحق
والانقياد له والانصياع الى اوامره ونواهيهِ) .

بهذا يعلن الاسلام عن ضرورة ازدواج الفكر والعاطفة ، واجتماع
العقيدة وما تتطلبه من ألوان الانفعال والاحساس ، حتى تدب الحياة
في العقيدة وتصبح مصدر حركة وقوة دفع وليست مجرد فكرة عقلية
لا يخفق ولا يستجيب لها الحس ولا تتدفق بالحياة .

وهذه هي السياسة العامة للدعوة الاسلامية ، فهي دعوة فكر وعاطفة
او بالاحرى دعوة الى عقيدة بكل ما تتطلبه من مفاهيم وعواطف ، وليست
دعوة فكرية خالصة تستهدف تطوير العقيدة طبقا لها ، وتقف عند هذا
الحد ، كالمذاهب الفلسفية المجردة ، كما انها ليست في مستوى الدعوات
العاطفية المنخفضة التي تستغل العاطفة فحسب وتعني بتربيتها دون ان
دراسات - ٨ م ١١٣

تقوم على أسس فكرية خاصة بل للدعوة الاسلامية طريقتها الخاصة في مزج الفكرة بالعاطفة ، وتفجير العواطف على اساس فكري ، وبذلك تبقى محتفظة بالطابع الفكري بالرغم من اهتمامها بالجانب العاطفي وتنميتها في الشخصية الاسلامية . لأنها تستوحي كل عاطفة من مفهوم معين من مفاهيمها عن الحياة والكون والانسان .

فالعواطف الاسلامية دائماً نتيجة المفاهيم والافكار الاسلامية وانعكاسات انفعالية لها . ولهذا نجد ان الاسلام يهيء كل عقيدة من عقائده وكل مفهوم من مفاهيمه ليكون ينبوعاً لعاطفة خاصة تنسجم مع ذلك المفهوم او تلك العقيدة ، وتتفق وياهما ، كما وجدنا في الآية الكريمة كيف ربط بين الايمان بالشرعة الحقة والخشوع لها . هذا الخشوع الذي هو لون من الانفعال العاطفي يتطلب ذلك الايمان ويصبح بدونه مجرداً عن أية فعالية ايجابية .

والسبب في هذا الربط بين المفاهيم والعواطف في الاسلام واضح كل الوضوح ، لأن الاسلام لا يريد المفاهيم والأفكار بمعزل عن العمل والتطبيق ، وانما يريد قواً دافعة لبناء حياة كاملة في اطارها وضمن حدودها ، ومن الواضح ان الافكار والمفاهيم لا تصبح كذلك الا حين تتخذ اشكالا عاطفية وحين تخلق الانفعالات التي تناسبها والعواطف التي تساندها ، لتتخذ هذه العواطف موقفاً ايجابياً في توجيه الحياة العملية والسلوك العام فمفهوم المساواة - مثلاً - الذي هو من أهم المفاهيم التي بشر بها الاسلام ، لا يمكن ان يثمر في الحقل العملي الثمر المطلوب ما لم تنبثق من هذا المفهوم عاطفة كما عطفة الاخوة العامة التي عمل الاسلام لايجادها في نفس المسلم وربطها بمفهومه الخاص عن المساواة ، ليصاغ المفهوم في شعور عاطفي دفاق قادر على الحركة والتوجيه طبقاً لمتطلبات المفهوم ؟

وعلى ضوء ذلك نستطيع ان نرتب ما يلي :

اولا : ان العقيدة الاسلامية كما يجب ان تكون قاعدة فكرية للشخصية الاسلامية وحجر الزاوية في تفكيرنا ومفاهيمنا ، كذلك يجب ان تكون قاعدة للعواطف التي تنشأ عليها الشخصية الاسلامية ، وتسمى فيها بمختلف الوسائل والاساليب ، لأن العواطف التي يرتضيها الاسلام للمسلم هي العواطف الفكرية التي تركز على مفاهيم فكرية معينة .

وحيث ان الاسلام هو القاعدة الاساسية للمفاهيم الفكرية التي تتكون منها العقلية الاسلامية ، كان من نتيجة ذلك طبيعيا ان يكون هو القاعدة والينبوع الأساسي لأعق العواطف التي تتكون منها النفسية الاسلامية ، وبمقدار ما تكون الرسالة اكثر عمقا وتركزا في موضعها الرئيسي من عواطف المسلم ترتفع شخصيته النفسية ، ويكتمل طابعه الاسلامي ، كما ترتفع شخصيته الفكرية ويكتمل طابعه الاسلامي بمقدار وجود القاعدة الاسلامية وتمركزها فيها .

وقد عبر القرآن الكريم تعبيرا رائعا عن العقيدة الاسلامية بصفتها ينبوع الأساسي لأعق العواطف في النفسية الاسلامية ، اذ قال :

(قل ان كان آبؤكم ، وابنائكم ، واخوانكم ، وازواجكم ، وعشيرتكم ، واموال اقتربتموها . وتجارة تخشون كسادها ، ومسكن ترضونها ، احب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى ياتي الله بامرہ ، والله لا يهدي القوم الفاسقين) .

فالعقيدة الاسلامية بالله الرحمن الرحيم العلي التقدير ينبغي ان تكون في نظر الاسلام ينبوعا لأعق العواطف في نفس المسلم ، لعاطفة الحب العميق لله ورسوله ولرسائله التي تسمو على كل عاطفة ، وتهون في سبيلها كل العلاقات ، علائق الأبوة ، والبنوة ، والأخوة ، والزوجية ، والعشيرة ، وعلائق المال ، والتجارة ، والسكن ، ويقوم على اساسها التقدير العاطفي لكل موقف ولكل واقع .

ثانيا : ان الطريقة العامة للاسلام لما كانت قائمة على مزج الفكرة بالعاطفة جاز للدعوة الاسلامية ان تمزج الفكرة بالعاطفة في دعوتها ووسائلها ، وان تعتبر العواطف الموجودة في المجتمع التي تساعدها على انجاح سياستها ، من القوى التي تمتلكها في سبيل الدعوة ، ولكن شريطة ان يتوفر في تلك العواطف الطابع الاسلامي ، بأن تكون قائمة على مفاهيم فكرية معينة تتفق ووجهة نظر الاسلام العامة .

واما العواطف السطحية المائعة التي لا تستند الى مفهوم ، والتي يثيرها الاحساس اكثر مما يثيرها الفكر ، فليس من الصحيح للدعوة ان تركز على هذه العواطف ؛ لأن انتشار هذه العواطف المنخفضة يؤدي الى سيطرتها في المجتمع وهذا يشكل خطرا على الدعوات الفكرية التي تحاول الارتفاع بذهنية الامة الى المستوى الفكري ، والتسامي بها عن المشاعر المرتجلة والأحاسيس الساذجة .

وأكثر من تلك العواطف السطحية خطرا ، العواطف التي تستمد جذورها النفسية من مفاهيم فكرية تتعارض مع مفاهيم الدعوة . وان امكن للدعوة ان تجند تلك العواطف في سبيل الوصول الى هدف معين وتحطيم قوة معارضة في الميدان ، او ان تستخدمها وتستثمرها الى فترة معينة ، كما تفعل بعض الدعوات التي تستتر في كثير من مراحلها بواجهات تستهوي عواطف الناس بالرغم من مناقضة مفاهيمها لتلك العواطف ، فهي لا تنظر اليها الا كمر الى هدفها الاصيل ، ولا تبالي في سبيل ذلك بنوعية العواطف التي تستخدمها ، ولا بجذورها الفكرية مع المجتمع . ان دعوة فكرية كالدعوة الاسلامية التي تستهدف قبل كل شيء امتلاك واقع الامة العقلي والنفسي وصبه في قلبها الفكري والعاطفي ، لا يمكنها بحال من الاحوال ان تنتهز العواطف التي تقوم على غير مفاهيمها وتستغل تلك

العواطف في سبيل مصلحتها فتواكبها الى نصف الطريق لأن في مواكبتها مساندة للواقع الفاسد الذي لم تقم الدعوة الا لتغييره وقلبه .

وعلى هذا فالسياسة العامة للدعوة الاسلامية تجاه العواطف الموجودة في الامة هي استثمار ما كان منها اسلاميا لحساب الرسالة وللدفع بها الى الامام في معركتها مع الكفر القائمة في كل مكان ، والتعالي بالامة عن العواطف المنخفضة وكس ما يوجد لديها من عواطف ذات طابع فكري معارض للاسلام ، وتبديلها بعواطف صحيحة تدور في فلك الرسالة الاسلامية . وبكلمة واحدة ان الدعوة تحاول ان تربط دائما بين المفاهيم والعواطف وتفجر في نفسية الامة العواطف التي يتوخاها الاسلام من تلك المفاهيم .

ويقاس مقدار نجاحها في الحقل الفكري بمدى تغلغل مفاهيمها في فكر الامة ، وفي المجال النفسي بمدى انسجام عواطف الامة مع تلك المفاهيم ، وبمقدار ما يولد الايمان بالرسالة من عاطفة الحب لها والمفاداة في سبيلها والخشوع لها خشوعا ينعكس في كل قول وعمل .

(ألم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون) (1) .

ان العاطفة الاسلامية تعبير شعوري عن مفهوم اقره الاسلام ، ووجب العمل به . . والعاطفة في الاسلام هادفة بمعنى ان الانسان المسلم هادف بفكره وعاطفته وروحه . . يسعى الى تحطيم كل الكيانات الساعية لتذليل الانسان وتركيعة لغير خالق الانسان . .

يقول شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال في العاطفة :

(1) رسالتنا - جماعة العلماء في النجف الاشرف (موضوع الرسالة قاعدة للعاطفة) .

« لا بد لادراك الحقيقة من الادراك الداخلي الذي يسميه (القرآن) القلب ، وليس القلب والعقل متناكرين ، وليس الفكر والالهام متنافرين ، فالدين لا يقنع بالتصور المجرد ، بل يطلب اتصالا بمقصوده ووسيلة ذلك (العبارة) والصلاة وسيلة استنارة روحية تعرف بها الذات الانسانية انها موصولة بحياة اوسع ، وكل طلب للمعرفة هو في حقيقته صلاة ، فالباحث في العلم الطبيعي هو كالصوفي في صلاته ، وتزيد قربا من مقصودها بالاجتماع ، والعبادة (فردية او جماعية) هي اعراب عن تلهف الوجدان الانساني استجابة في صمت الكون الهائل » .

ان امتزاج العاطفة بالفكر في الشخصية الاسلامية ، يجعل لهذه الشخصية المقدرة على امتلاك البعد الحضاري ، لانها شخصية نابعة من معاناة الفكر وطموح العاطفة ..

٢ - الروحية :

ان الانسان المؤمن بالله يمتلك شعورا غريبا يجعله يقترب أكثر فأكثر من سر الوجود ، كلما قام الليل او تفكر في خلق السموات والارض .. وقد عبر (القرآن) عن هذا الشعور بالخشوع وعن القلوب التي تميش هذا الشعور بالقلوب الوجلة

(انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وانا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون * اولئك المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) الانفال : ٢ - ٥ .

والروحية الشفافة هو ذلك التصعيد الانساني المتسامي للنفس .. وتلك الارتعاشة الوجدانية التي تعقب كل صلاة وعلم وعمل لله .. انظر الى هذه المناجاة الصوفية ولاحظ كيف تعمل عملها في رفع روحية الانسان :

(آلهي كلما اخرسني لؤمي انطقني كرمك .. وكلما آيستني اوصافي
اطممتني متك . من كانت محاسنه مساويء .. فكيف لا تكون مساويه
مساويء .. ومن كانت حقائقه دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى ؟

آلهي كلما يستل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك
من الظهور ما ليس لك .. حتى يكون المظاهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج
الى دليل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل اليك
آلهي امرت بالرجوع الى الآثار فارجني اليها بالانوار ، وهداية الاستبصار
حتى أرجع اليك منها كما دخلت اليك مصون السر عن النظر اليها مرفوع
الهامة عن الاعتماد عليها ، انك على كل شيء قدير) .

ان التصعيد السلمي للروح يتم بذكر الله والكون صامت والناس
نيام .. لأن مناجاة الله في بحر الكون الهائل ، امتثال امام الخالق وكشف
حساب وغفران ذنوب ..

(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا) الاسراء - ٧٩ .

لنقرأ معا دعاء الامام السجاد (ع) ونرى أثره في تصعيد الروحانية
البشرية :

(يا من ذكره شرف للذاكرين ، ويا من شكره فوز للشاكرين ، ويا من
طاعته نجاة للمطيعين ، صل على محمد وآله ، واشغل قلوبنا بذكرك عن كل
ذكر والسنننا بشكرك عن كل شكر ، وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة) .
{ - الهدف :

الشخصية الاسلامية تمتلك الهدف .. والهدف في المفهوم الاسلامي
ليس غاية الغايات .. لأن غاية الغايات هو الفوز برضاء الله وهو غاية
وليس هدفا .. والهدف هو جسر للغاية .. به نعبث من صحراء الارض
الى جنة السماء .. والشخصية الاسلامية هادفة غايتها الفوز برضى الله
تعالى .. والهدف هنا هو تحقيق خلافة الله في الارض وتحقيق ارساء
مفردات الدولة الاسلامية والمجتمع المسلم .. والغاية هي الرضا المطلق

في الزمن المطلق لخالق الوجود المطلق ..

ان نظرة الانسان المسلم الى السماء قبل الأرض قد اعطت هذا الانسان مقاييس اخلاقية لبناء الأرض وتعمير النفوس .. نلاحظ ان أروع ما كتب في هذا الموضوع هو قلم العلامة الجليل السيد محمد باقر الصدر في مقدمة كتابه (اقتصادنا) .. وبالرغم من ان منحى المؤلف الكبير كان اقتصاديا لكننا نستشف من رأيه دور الانسان المسلم في الأرض وهدفه في اقامة دولة الحق .. وهو يقارن بين هذا الانسان والانسان الاوربي الذي استطاع استنزال آله المسيحية الى الأرض وتجسيده في كائن ارضي . والمؤلف فوق هذا وذاك يعطي لنا برنامجا محددا واضح المعالم للشخصية الاسلامية .. يقول السيد الصدر في مقدمة كتابه :

« ان الانسان الاوربي ينظر الى الارض دائما لا الى السماء وحتى المسيحية بوصفها الدين الذي آمن به هذا الانسان مئات السنين لم تستطع ان تتغلب على النزعة الارضية في الانسان الاوربي بل بدلا عن ان ترفع نظره الى السماء استطاع هو ان يستنزله الى المسيحية من السماء الى الأرض ويجسده في كائن ارضي .

وليست المحاولات العلمية للتفتيش عن نسب الانسان في فضاءات الحيوان وتفسير انسانيته على اساس التكييف الموضوعي من الارض والبيئة التي يعيش فيها او المحاولات العلمية لتفسير الصرح الانساني كله على اساس القوى المنتجة التي تمثل الأرض وما فيها من امكانات ليست هذه المحاولات الا كمحاولة استنزال الاله الى الارض في مدلولها النفسي وارتباطها الاخلاقي بتلك النظرة العميقة في نفس الانسان الاوربي الى الارض وان اختلفت تلك المحاولات في أساليبها وطابعها العلمي أو الاسطوري .

وهذه النظرة الى الأرض أتاحت للانسان الاوربي ان ينشئ قيسا للمادة والثروة والتملك تنسجم مع تلك النظرة .

وقد استطاعت هذه القيم التي ترسخت عبر الزمن في الانسان الاوربي ان تعبر عن نفسها في مذاهب اللذة والمنفعة التي اكتسحت التفكير الفلسفي الاخلاقي في اوربا فان لهذه المذاهب ، بوصفها نتاجاً فكريا اوروبيا سجل نجاحاً كبيراً على الصعيد الفكري الاوروبي ، لها مغزاها النفسي ودلالاتها على المزاج العام للنفس الاوروبية .

وقد لعبت هذه التقييمات الخاصة للمادة والثروة والتملك دوراً كبيراً في تفجير الطاقات المخترنة في كل فرد من الامة ووضع اهداف لعملية التنمية تتفق مع تلك التقييمات . وهكذا أسرت في كل أوصال الامة حركة دائبة نشيطة مع مطلع الاقتصاد الاوروبي الحديث لا تعرف الملل او الارتواء من المادة وخيراتها وتملك تلك الخيرات .

كما ان انقطاع الصلة الحقيقية للانسان الاوروبي بالله تعالى ونظرتة الى الارض بدلا عن النظرة الى السماء انتزع من ذهنه أي فكرة حقيقية عن قيمومة رفيعة من جهة أعلى او تحديدات تفرض عليه من خارج نطاق ذاته وهياه ذلك نفسياً وفكرياً للايمان بحقه في الحرية وغمره بفيض من الشعور بالاستقلال والفردية الامر الذي استطاعت بعد هذا ان تترجمه الى اللغة الفلسفية او تعبر عنه على الصعيد الفلسفي فلسفة كبرى في تاريخ اوربا الحديثة وهي الوجودية اذ توجت تلك المشاعر التي غمرت الانسان الاوروبي الحديث بالصيغة الفلسفية فوجد فيها انسان اوربا الحديث آماله وأحاسيسه .

وقد قامت الحرية بدور رئيسي في الاقتصاد الاوروبي وأمكن لعملية التنمية ان تستفيد من الشعور الراسخ لدى الانسان الاوروبي

بالحرية والاستقلال والفردية في نجاح الاقتصاد الحر بوصفه وسيلة تتفق مع الميول الراسخة في نفوس الشعوب الأوروبية وأفكارها وحتى حينما طرح الاقتصاد الأوروبي منهجاً اشتراكياً حاول فيه أن ينطلق من الشعور بالفردية والانانية أيضاً مع تحويلها من فردية شخص إلى فردية طبقية .

وكلنا نعلم أن الشعور العميق بالحرية كان يوفر شرطاً أساسياً لكثير من النشاطات التي ساهمت في عملية التنمية وهو انعدام الشعور بالمسؤولية الأخلاقية الذي لم تكن تلك النشاطات لتتم بدونه .

والحرية نفسها كانت أداة لانتفاخ الإنسان الأوروبي على مفهوم الصراع لأنها جعلت لكل إنسان أن ينطلق دون أن يحده في انطلاقه شيء سوى وجود الشخص الآخر الذي يقف في الطرف المقابل كمحدد له فكان كل فرد يشكل بوجوده النفي لحرية الشخص الآخر .

وهذا نشأت فكرة الصراع في ذهن الإنسان الأوروبي وقد عبرت هذه الفكرة عن نفسها على الصعيد الفلسفي كما رأينا في سائر الأفكار الأساسية التي كونت مزاج الحضارة الغربية الحديثة . عبرت هذه الفكرة - فكرة الصراع - عن نفسها في الأفكار العلمية والفلسفية عن تنازع البقاء كقانون طبيعي بين الأحياء أو عن حتمية الصراع الطبقي داخل المجتمع أو عن الديالكتيك وتفسير الكون على أساس الأطروحة ونقيضها والمركب الناجم عن الصراع بين النقيضين . أن كل هذه الاتجاهات ذات الطابع العلمي أو الفلسفي هي قبل كل شيء تعبير عن واقع نفسي عام وشعور حاد لدى إنسان الحضارة الحديثة بالصراع .

هذه هي أخلاقية الاقتصاد الأوروبي وعلى هذه الأرضية استطاع هذا الاقتصاد أن يبدأ حركته ويحقق نموه ويسجل مكاسبه الضخمة .

وهذه الاخلاقية تختلف عن الاخلاقية التي تميّسها الامة داخل العالم الاسلامي نتيجة لتاريخها الديني فالانسان الشرقي الذي رتبته رسالات السماء وعاشت في بلاده ومر بتربية دينية مديدة على يد الاسلام ينظر بطبيعته الى السماء قبل ان ينظر الى الارض ويؤخذ بعالم الغيب قبل ان يؤخذ بالمادة والمحسوس .

وافتتانه العميق بعالم الغيب قبل عالم الشهادة هو الذي يعبر عن نفسه على المستوى الفكري في حياة المسلمين باتجاه الفكر في العالم الاسلامي الى المناحي العقلية من المعرفة البشرية دون المناحي التي ترتبط بالواقع المحسوس .

وهذه الغيبية العميقة في مزاج الانسان المسلم حددت من قسوة اغراء المادة للانسان المسلم وقابليتها لاثارته الامر الذي يتجه بالانسان في العالم الاسلامي حين يتجرد عن دوافع معنوية للتفاعل مع المادة واغرائه باستثمارها الى موقف سلبي تجاهها يتخذ شكل الزهد تارة والقناعة اخرى والكسل ثالثة .

وقد روضته هذه الغيبية على الشعور برقابة غير منظورة قد تعبر في وعي المسلم التقي عن مسؤولية صريحة بين يدي الله تعالى وقد تعبر في ذهن مسلم آخر عن ضمير محدود وموجّه وهي على أي حال تبعد بانسان العالم الاسلامي عن الاحساس بالحرية الشخصية والحرية الاخلاقية بالطريقة التي أحس بها الانسان الاوروبي .

وتيجة لشعور الانسان المسلم بتحديد داخلي يقوم على أساس اخلاقي لصالح الجماعة التي يعيش ضمنها يحس بارتباط عميق بالجماعة التي ينتسب اليها وانسجام بينه وبينها بدلا عن فكرة الصراع التي سيطرت على الفكر الاوربي الحديث ..

وقد عزز فكرة الجماعة لدى الانسان المسلم الاطار العالمي لرسالة الاسلام الذي ينيط بحملة هذه الرسالة مسؤولية وجودها عالميا وامتدادها مع الزمان والمكان فان تفاعل انسان العالم الاسلامي على مر التاريخ مع رسالة عالمية منفتحة على الجماعة البشرية يرسخ في نفسه الشعور بالعالمية والارتباط بالجماعة .

وهذه الاخلاقية التي يعيشها انسان العالم الاسلامي اذا لاحظناها بوصفها حقيقة ماثلة في كيان الامة يمكن الاستفادة منها في المنهجة للاقتصاد داخل العالم الاسلامي ووضعه في اطار يواكب تلك الاخلاقية لكي تصبح قوة دفع وتحريك كما كانت اخلاقية مناهج الاقتصاد الاوروبي الحديث عاملا كبيرا في انجاح تلك المناهج لما بينها من انسجام .

فنظرة انسان العالم الاسلامي الى السماء قبل الارض يمكن ان تؤدي الى موقف سلبي تجاه الارض وما في الارض من ثروات وخيرات يتمثل في الزهد او القناعة او الكسل اذا فصلت عن السماء واما اذا ألبست الأرض اطار السماء واعطي العمل مع الطبيعة صفة الواجب ومفهوم العبادة فسوف تتحول تلك النظرة الغيبية لدى الانسان المسلم الى طاقة محركة وقوة دفع نحو المساهمة باكبر قدر ممكن في رفع المستوى الاقتصادي . وبدلا عما يحسه اليوم المسلم السلبي من برود تجاه الارض او ما يحسه المسلم النشيط الذي يتحرك وفق أساليب الاقتصاد الحر او الاشتراكي من قلق نفسي في اكثر الاحيان ولو كان مسلما متميما سوف يولد انسجام كامل بين نفسية انسان العالم الاسلامي ودوره الايجابي المرتقب في عملية التنمية .

ومفهوم انسان العالم الاسلامي عن التحديد الداخلي والرقابة

الغبية الذي يجعله لا يمشي فكرة الحرية بالطريقة الأوروبية يمكن ان يساعد الى درجة كبيرة في تفادي الصعاب التي تنجم عن الاقتصاد الحر والمشاكل التي تواجهها التنمية الاقتصادية في ظلّه عن تخطيط عام يستمد مشروعيته في ذهن انسان العالم الاسلامي من مفهومه عن التحديد الداخلي والرقابة غير المنظورة أي يستند الى مبررات اخلاقية .

والاحساس بالجماعة والارتباط بها يمكن ان يساهم الى جانب ما تقدم في تعبئة طاقات الامة الاسلامية للمعركة ضد التخلف اذا اعطي للمعركة شعار يلتقي مع ذلك الاحساس كشعار الجهاد في سبيل الحفاظ على كيان الامة وبقائها الذي اعطاه القرآن الكريم حين قال (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

فأمر باعداد كل القوى بما فيها القوى الاقتصادية التي يمثلها مستوى الانتاج باعتباره جزءاً من معركة الامة وجهادها للاحتفاظ بوجودها وسيادتها .

ان اتجاه انسان العالم الاسلامي الى السماء لا يعني ببدلول الاصيل استسلام الانسان للقدر واتكاله على الظروف والفرص وشعوره بالمعجز الكامل عن الخلق والابداع كما حاول ذلك جاك اوستروي بل ان هذا الاتجاه لدى الانسان المسلم يمر في الحقيقة عن مبدأ خلافة الانسان في الارض فهو يميل بطبيعته الى ادراك موقفه في الارض باعتباره خليفة لله . ولا اعرف مفهومًا اغنى من مفهوم الخلافة لله في التاكيد على قدرة الانسان وطاقاته التي تجعل منه خليفة السيد المطلق في الكون كما لا اعرف مفهومًا أبعد من مفهوم الخلافة لله عن الاستسلام للقدر والظروف لأن الخلافة تستبطن معنى المسؤولية تجاه ما يستخلف عليه ولا مسؤولية بدون حرية وشعور بالاختيار والتسكن من التحكم

في الظروف والا فأي استخلاف هذا اذا كان الانسان مقيدا او مسيراً ولهذا قلنا ان لباس الأرض اطار السماء يفجر في الانسان المسلم طاقاته ويثير امكاناته بينما قطع الارض عن السماء يعطل في الخلافة معناها ويجند نظرة الانسان المسلم الى الأرض في صيغة سلبية فالسلبية لا تنبع عن طبيعة نظرة انسان العالم الاسلامي الى السماء بل عن تعطيل قوى التحريك الهائلة في هذه النظرة بتقديم الأرض الى هذا الانسان في اطار لا ينسجم مع تلك النظرة « (١) » .

٥ - الجسد :

ان الجسد في الاسلام له حق وعليه مسؤوليات .. وبالجسد يستطيع الانسان تنفيذ أوامر السماء .. ولا يستطيع الجسد وحده القيام باعباء الدعوة الى الله ، لأنه لا يتعدى كونه مفردا من مفردات الشخصية الاسلامية ولا يشكل ضموره أي تهديد للشخصية ..

ويشير القرآن الكريم الى الجسد في معرض حديثه عن (طالوت)

فيقول :

(ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ، والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم) البقرة - ٢٤٧ .

٦ - القيادة والحركية والايجابية :

الشخصية الاسلامية تمتلك مقومات القيادة .. لأن هذه المقومات ليست مفروضة من الخارج ، انما هي مقومات ذاتية تنبع من الاحساس الجسيم بالمسؤولية الملقاة على الانسان .. والقيادة تعني امتلاك

(١) اقتصادنا - السيد محمد باقر الصدر - الطبعة الرابعة ١٩٧٣

دار الفكر - بيروت ص ٥ .

الانسان زمام نفسه والقدرة على توجيه الآخرين وقدرته على التصرف في اللحظات التي تستدعي حزما وقوة وسعة تفكير وبعد نظر .. واذا ما توفر عنصر القيادة في الشخصية فسرعان ما يتنامى عنصر الحركة والايجابية .. واذا ما اقتربت زوايا هذا المثلث ، القيادة ، الحركة ، الايجابية .. ازدادت فرص اكمال البناء في النفس ..

٧ - التقوى :

وهو بناء الحاجز الحديدي بين النفس والمعصيات وتوجيه النفس والعقل توجيهها خالصا لله سبحانه وتعالى .. وهي مفرد مهم من مفردات الشخصية الاسلامية وبها يصبح البناء جاهزا وعامرا ..

يقول الامام علي (ع) في وصفه المتقين :

(منقطعهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع ، غصصوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا اسماءهم على العلم النافع لهم ، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كما نزلت في الرخاء ، ولولا الاجل اللذي كتب عليهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين .

لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير ، فهم لانفسهم متهمون ، ومن اعمالهم مشفقون ، اذا زكي احدهم خاف مما يقال له ، فيقول : انا اعلم من غيري ، وربى اعلم بي مني بنفسي . اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني الفحل مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون :

فمن علامة احدهم : انك ترى له حزما في لين ، وايمانا في يقين ، وقصدا في غنى ، وخشوعا في عبادة ، وتجملا في فاقة ، وصبرا في شدة ، ونشاطا في هدى وتمرجا في طمع . يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل . الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون . يعفو عن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه لينا قوله حاضرا معرفه ، لا يحيف على من يفض ولا ياتم في من يجب . يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه . لا يناز بالقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطن ولا

يخرج من الحق . نفسه منه في عفاء والناس منه في راحة . بعده عن تباعد
عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة . ليس تباعده بكبر
وعظمة ولا دنوه بمكر وخدعة (١) .

ويقول أيضا :

(المؤمن بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدرا ، والذل
شيء نفسا . يكره الرفعة ، ويشنأ السمعة ، طويل غمه ، بعيد همسه ،
كثير صمته ، مشغول وقته ، شكور صبور ، سهل الخليفة ، لين العريكة) (٢) .

(٥)

ان المفردات السبع التي أتينا على ذكرها هي مفردات أساسية في بناء
الشخصية الاسلامية ، وبدون توجيهها اسلاميا لا نستطيع دق ركائز
الاسلام في الانسان ، لان توفرها بالصورة التي عرضناها شرط اساسي
من شروط البناء ..

ولعل اجمل ما كتب في الشخصية الاسلامية مقالتان الفرق بين
عمرهما ستة عشر عاما .. المقالة الاولى تتحد عن الموضوع بجديّة
وموضوعية فريدة والثانية تتحدث عنه برومانسية فريدة ، وانما
ننقلها هنا لرأينا بان القارىء لا بد وان يستفيد من مواضيع يندر
ان تكتب دائما ..

المقالة الاولى : رسالتنا والشخصية الاسلامية (١) ..

(١) روائع نهج البلاغة - جورج جرداق - بيروت - ص ١٨٤ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٣٢ .

(١) مجلة الاضواء الاسلامية عدد ٢٢ السنة الاولى . ص ٥٥٦
النجف الاشرف ١٣٨٠ هـ .

يوجد في المثقفين المسلمين من يستغرب الحديث عن (شخصية اسلامية) ويتساءل عما اذا كانت شخصية للمسلم تابعة من الاسلام وحده ، شخصية مستقلة فريدة تستحق ان تكون موضوعا للبحث والتحليل . وهؤلاء لا يستغربون الحديث عن شخصية عربية ، او ايرانية، او هندية ، ولكنهم يستغربون الحديث عن شخصية اسلامية . وهذا ليس الا مظهرا من مظاهر الوباء العقلي الذي استشرى في شبابنا الناشيء بسبب انقطاع الصلة الحقيقية بينه وبين الاسلام ، واقتصاره على الأفكار الغربية في غذائه العقلي .

فان الاسلام عقيدة شاملة ، نظمت حياة الانسان فلم تهمل شأنا من شؤونه ، ولم تغفل جانبا من جوانبه . وعقيدة لها هذه الاحاطة وهذا الشمول لا بد وان يطبع بطابعمها المعين داخل معتقدها ومظاهرها منطوقه ، ولا بد ان تصوغ وجوده وفقا لمعطياتها الخاصة . وعلى هذا فمن الغريب ألا تكون شخصية اسلامية مستقلة فريدة .



ان الانسان المسلم يعبر عن وجوده الخاص بالتعامل مع الله جل جلاله بما يملك من قدرة روحية ، وبالتفاعل مع الكون بما يملك من قدرة عقلية وفكرية ، وبالتفاعل مع المجتمع بما يملك من اخلاق . وهذه العناصر الثلاثة .. الروح والعقل والخلق ، عناصر أساسية في الشخصية الاسلامية ، ولا يمكن ان توجد شخصية اسلامية خالية عن هذه العناصر او عن بعضها . فلا بد من عقل حي ، متفتح ولا بد من خلق عال نموذجي ولا بد من روح شفاف نظيف لأجل ان توجد الشخصية الانسانية النموذجية . وهذا هو ما سعى اليه الاسلام وعني به : صياغة نموذج للانسان يتمتع بهذه القوى : عقل يتفاعل به مع الكون المحيط به ، وخلق يتفاعل به مع المجتمع وروح يتصله بالله الخالق البارئ المصور .

ومن الواضح ان هذه القوى الثلاث في شخصية الانسان المسلم ليست متحاجة ، بل هي متفاعلة فيما بينها ومتكاملة .

والانسان الذي استقر وجوده الخاص على هذه الاسس الثلاثة الكبرى انسان يعبر بسلوكه في الحياة اليومية وتعامله مع الآخرين عن مبادئه الاخلاقية فليس ثمة في وجود هذا الانسان انفصال بين السلوك الواقعي وبين المبادئ كما هو المشاهد في الانسان غير المتكامل . فان الشخصية النابعة من اعتناق عقيدة تحدد الطريق ، وتضع الحلول ، وتدفع الى العمل تجعل لكل شخص انساني وجودا فريدا متميزا لا شريك له فيه ، وتهب له الغنى الداخلي والخصب الباطني ، ومن هنا يكون هو الذي يملك الواقع ويصوغه ، ولا يمتلكه ويستبد به . والانسان المسلم يستطيع ان يكون (شاهدا على الناس) بهذا المعنى : ان الشاهد يجب ان يكون قادرا على الانفصال عن المشهود وعلى مراقبته وترصده وتقده . فلا بد من ان تكون له حدود تعصمه من الانهيار والذوبان الذي ينفقه شكله الخاص وقوامه الخاص .



وعاقبة انحلال الشخصية وانعدامها لدى الانسان الفرد هي عدم قدرته على صنع مصيره ، وعجزه عن المساهمة في صنع مصير الآخرين . فان الانسان الفاقد للشخصية مستغرق في العالم الذي حواه مستبعد له ، مساوئ للواقع المادي والبشري الذي يحيط به . انه انسان مجروف بالتيار الذي لم يشارك في صياغته .

وعاقبة انحلال الشخصية لدى المجتمع هي عجزه عن ابتداع نموذج حضاري مشتق من مفاهيمه عن الكون والحياة والانسان ، وصيرورته - في المجال الحضاري - عالة على قوى حضارية غريبة عن روحه ،

فيقتبس منها ما قد يزيد بعدا عن مفاهيمه الخاصة ويزيده عجزا عن تحويلها الى واقع حياتي معاش .

وهذا هو الوضع الذي يعاني منه المسلم المعاصر . فانه فاقد للمقومات الاساسية لشخصيته الخاصة : الشخصية النابعة عن الاسلام ومبادئه ، ومن هنا فهو عاجز - في حدود واقعه الحاضر - عن ابتداع نموذج اسلامي للحضارة ، وهو من ناحية اخرى مرغم على الاقتباس من النموذج الحضاري السائد في العالم مما قد يزيد بعدا عن الاسلام ، وعجزا عن تحويل مبادئ الاسلام الى واقع حي .

وثمة نتيجة سيئة اخرى لانحلال الشخصية الاسلامية لدى المسلم المعاصر ، تظهر لنا بجلاء اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان الوجود الاسلامي في العالم ليس محصورا ضمن نطاق جغرافي او عنصري خاص ، وانما هو ممتد في اطر جغرافية وعنصرية كثيرة ، ومن شأن الشخصية الاسلامية لو وجدت ان تحدث تيارا فكريا نوعيا يتغلغل في جميع المجتمعات الاسلامية في العالم مما يجعل الوجود الاسلامي ذا مظهر موحد ، متجانس ، فذ ، اما والشخصية الاسلامية غير موجودة فان الحاصل بالفعل هو تيارات فكرية نوعية ، لكل مجتمع اسلامي منها تيار وحده ، وهذا الواقع يخلق بين المجتمعات الاسلامية تحاجزا شعوريا دائميًا يجعل ثمة عوالم اسلامية متحاجزة وراء قيود وهمية ، صنعتها بنفسها ولا يعترف بها الاسلام .



هذا وعلى الرغم من تأزر جميع القوى المعادية للاسلام على حربه والنيل منه ، وجددها في تفريق كلمة المسلمين ، وتفطيت وحدتهم ، لا

تزال توجد في مختلف البلاد الاسلامية ذبالة لهذه الشخصية الاسلامية
مثلة في بعض المسلمين الواعين الذين لم تقو الأفكار الدنسة على
تلويثهم . وان على العاملين على الصعيد الاسلامي في المجال الفكري
ان يجعلوا أكبر همهم احياء هذه الشخصية وبعثها في أكبر عدد ممكن
من المسلمين .

المقالة الثانية :

تأملات في تكوين الشخصية الاسلامية (١) .

قد تكون الشخصية مجموعة من المجالات او مجموعة من القوى ،
وقد تترك الشخصية على صفحات الواقع التاريخي بصمات ما تنحني
عليه من هذه او تلك ، وقد اتحسس الجدل النقدي في تقييمه الموضوعي
للشخصية التاريخية عناصر قواها الفاعلة او عناصر مجالاتها المنفصلة ليضعها
في مناطها الصائب من حركة التاريخ الشاملة ، او ليخرجها من حركة
التاريخ الى مجرد كونها ظاهرة من ظواهر الوجود الانساني الآتي
والذاهب بلا قسماات ! ولكن الشخصية (الاسلامية) ترفض من هذه
العناصر وتتنخب لانها لا تريد ان تكون موجة عابرة في محيط الاجتماع
البشري ، او مجرد صدى لصوت تحكمه قوانين التبعية الذاهلة .

الشخصية الاسلامية :

الشخصية الاسلامية محكومة بقوانين الدورة الكاملة في الطبيعة
والاشياء ، لأنها انبثاق عقائدي يدين بشمول الرؤية ، وغائية الطموح . .
بمعنى أن الاسلام لا يتحجر في رؤية ضاغطة تعطي نصف الحقيقة وتعمى

(١) محمد احمد العزب - مجلة منار الاسلام - العدد الرابع نيسان

١٩٧٦ . ص ٨١ .

على نصفها الآخر ، وانما هو على النقيض ثورة جدل كوني اذا جاز ان يقال ، بمعنى انه يرفض ان يدلل للقيمة من العرض ثم لا شيء ، ولكنه يتعقب كل بزوغ للقيمة ، وهذا هو المحتوى الحقيقي لمقولة ان الاسلام دين صالح لكل زمان ومكان من جهة .. ثم لمقولة ان الاسلام هو المضمون الحضاري الخالد للوجود الحيوي على تباير اشكاله !

وإذا كانت الشخصية (العامة) في اطارها السائب مجموعة من المجالات او مجموعة من القوى ، فان الشخصية (الاسلامية) في اطارها المنضبط تصبح مجموعة من المجالات (المعينة) او مجموعة من القوى (الذاتية) .. أي أن (نوعية ما) تحكم علاقة الاشياء بعضها ببعض في تكوينات الشخصية الاسلامية ، بحيث يملو صوت الانتخاب النوعي على صوت الاعتبار العشوائي في مساحة هذه التكوينات .. وهذا هو ما يعطي هذه الشخصية الاسلامية تفردها القائد اول الامر ، ثم مبرر صدامها الحتمي مع الاغيار حتى تمتدل الموازين في نهاية المطاف ..

وقد أؤثر مصطلح (التكوينات) على غيره من المصطلحات لأنه يشع معنى لا أريد ان نفرط فيه ، ان التكوين استنبات لشيء لم يكن ، وصوغ لاشياء كثيرة هي كائنة ، أي أن ما لم يكن يكون هنا بفعل الوهج العقائدي ، وما كان مشعثا وغير قابل للتشكل يأخذ هنا شكله النهائي في ظل هذا الفعل العقائدي .. وهكذا يلوح مصطلح (التكوينات) اقدر من غيره على استيعاب ما نحلم بالبوح به من خلال هذه السطور ! ربما يكون التكوين في عملية الابداع الفني مثلا تقريبا .. ان الفنان يشكل عمله النهائي اما من خلال اضافة تكوين موجود الى تكوين موجود .. واما من استحداث تكوينات والولوج بها الى عالم التشكيل .

بين التكوين والمصطلح :

وقد يقال ان الشخصية مصطلح مشترك لا يخصها غير ان نضيف اليها مصطلح الاسلامية ، وهنا تصبح العلاقة بين التكوين والشخصية علاقة طارئة وليست علاقة تأسيسية .. ونحن لا نرفض هذه المقولة رفضا كاملا ، ولكننا كذلك لا نستطيع ان نستوعبها على نحو من الاستغراق الشامل لان الشخصية الاسلامية لا تصبح حاملة لهذه الهوية الحقيقية الا اذا اجتازت تجربتها النهائية بالفعل . أي انها لا تصبح شخصية اسلامية الا اذا خاطرت وغامرت واكتسبت عناصر تكوينها العقائدية واستوت على أفق القناعات النهائية التي تصبح هواءها ودماءها وسيفها وكنابها جميعا .

ان الشخصية الواقعة على ربوة في المنتصف . او على وهدة في القاع يمكن ان تكون شخصية طامحة الى فعل ما .. يسكن ان تكون مفردة من مفردات الشخصية الاسلامية .. ولكنها ابدا لن تكون الشخصية الاسلامية فيما نعني بهذا المصطلح الشامل الايماء . فالشخص الذي في طريقه الى الاسلام له بعض ملامح الشخصية الاسلامية .. والذي أسلم كذرة في دورة له بعض ملامح الشخصية الاسلامية .. والذي يؤمن بالاسلام نظرة ، او نظرية ، او رؤيا ، او انجذابا ، او تعاطفا ، او رغبا او رهبا ، او احتما ، له بعض ملامح الشخصية الاسلامية ، والاسلام هنا يحتوي هذه المفردات ليعيد تشكيلها من جديد .. انه لا يرفضها قط لأنه قادر على صوغها واعلائها وترشيد خطواتها على الطريق ..

حصاد التجربة :

نعني اذن بالشخصية الاسلامية حصاد كل التجربة البادئة من نشوء الحب ، السائرة على حقول الرفض والموافقة والمستوية في نهاية الرحلة

على اعراف الاتماء .. بحيث يصبح الاسلام ليس نظرتها او نظريتها
او رؤياها او انجذابها او تماؤها او رغبتها او رهباها او احتماها ..
وانما (كينوتها) .. وهنا فقط نستطيع ان نتجلي اغوار كثير من
المقولات الاسلامية التي تضع السيف والحرف على مستوى واحد في
سبيل ان يولد على الارض اسلام بلا تخربات .

ونموذج الشخصية الاسلامية يتدىء محيطه من الارض لينتهي في
السماء .. هذا النموذج لا يتصدى فقط لقيادة السلوك الانساني في
حركة احتكاكه اليومي على هذه الارض ، ولكنه يتصعد بهذا السلوك
ليعقد له وشائج قربي بالسماء .. ان الرجل الرباني (الذي يقول للشيء
كن فيكون) ^(١) ليس سوى نموذج او نمط الشخصية الاسلامية ..
ويخطيء افدح الخطأ من يظن ان هذا الرجل الرباني هو من انقطع الى
قبلة في مسجد ، او الى قنة في جبل او الى غار في بيداء .. ان كل
الساعين على الارض (اعبد) من هذا المعتزل الشاحب القدرات ، نموذج
الشخصية الاسلامية يتدىء محيطه من عراك القوى الذاتية الى عراك
القوى الخارجية .. لينتهي الى صداقة كل القوى خارجية وذاتية ..
علوية وسفلية .. وهذا معنى ان يكون محيطه مبتدئا من الارض
ومتنها في السماء .

الحكم والتصور :

يقولون : ان الحكم على الشيء فرع عن تصوره .. ونقول :
ان تصور الشيء هنا سيكون فرعا عن الحكم عليه .. بمعنى ان قوانين
الشخصية الاسلامية قوانين حلوية بكل مستوى وعلى كل المقاييس ..

(١) اشارة الى الحديث القدسي « .. عبدي اطمني تكن ربانيا تقول
للشيء كن فيكون » .

أي انها لن توجد من عدم .. وان تكويناتها قد انتهت بالفعل ، ولقد صدر الحكم عليها منذ اجيال .. ولا يبقى امامنا نحن الا ان تأمل قاعدة هذا الحكم او مفرداته على الأقل لتتصور بعد امكانية ان نحيط بهذه المفردات .. فربما نصوغ مقولاتنا على نحو يوحى بذاتية الفهم .. وربما نصوغها على نحو يوحى بموضوعية هذا الفهم .. ولكننا نعد بأننا هنا وهناك لن نخالف اثارا لمفهوم المخالفة ، ولن نوافق اثارا لسهولة الموافقات .. سنقول في كل اولئك بصوتنا نحن .. من داخلنا نحن .. اننا لا نزيد ان نفرط في قضية (الشخصية) ونحن ندير حوارنا حول تكوينات الشخصية ..

وقد تكون كل مفردة من مفردات هذه التكوينات بحاجة الى تأمل مستقبل ، وقد تكون بحاجة الى موقف شجاع ، وهذا هو هدف هذه الرحلة منذ بداية الانطلاق .. وبديهي اننا لن نتدرج بالحديث عن تكوينات الشخصية الاسلامية من السطح الى العمق ، ولا من الصميم الى السطح ، لأن فكرة تقديم تكوين على تكوين ليست في خاطر هذه الدراسة ، وكل التكوينات في نهاية الامر تشكل المجموع الكلي الذي نسميه الشخصية الاسلامية وهذا هو ما نهدف اليه ..

هذه مقدمة ،

وبعدها تأمل كل المفردات ..

وكما قلنا منذ البدء .. فان تكوينات الشخصية الاسلامية ليست افتراضا عشوائيا من جهة ، لأن ذلك يحيل القضية الى مجرد تأويل .. وليست تجريدا ميتافيزيقيا من جهة اخرى ، فان ذلك يحيل القضية الى مجرد تخيل .. ان تكوينات الشخصية الاسلامية بعض عناصر القاعدة

الشمولية التي هي الاسلام .. الجوهر واحد .. ولكن تنمو هنا في عرض .. وتطفو هنا على سطح .. وتأتلق هنا في اطار .. الشجرة دائما تخاطب الحياة في مظاهر من الفروع والاوراق .. وها نحن اولاء على مقربة من تأمل الشجرة .. جذورا وأفرعا وأوراقا ..

١ - الانفتاح الفكري :

(الانفتاح الفكري) تكوين من تكوينات الشخصية الاسلامية ، الى منابع وجوده الحقيقي .. اما ان يكون الانسان مغلق الذهن ، فذلك هي قمة المأساة .. لأن الوعي الفكري بكل روافد الاشياء هو المقدمة الطبيعية للوعي بالاشياء .. الذين يفلقون نوافذهم يموتون بالجذب ، والذين يرتعشون امام الجدل الحيوي هم الذين لا يملكون ذرة من اليقينيات .. لقد يتاح للدارس المستوعب لفلسفة الاسلام الشمولية ان يرى في هذه الفلسفة حوارا عميقا مع كل الزمن باضلاعه المثلثة .. الماضي .. والحاضر .. والمستقبل .. ان كتاب الاسلام الخالد (القرآن) لم يفرق رؤوس اتباعه في حاضر منبت عن ماضيه .. ولا في ماضي منقطع عن مستقبله .. لقد أصل لوضعية انسانيه العقائدي حوارا رافضيا لأن الانفتاح الفكري وحده هو الذي يتيح للموجود ان يتسلق بالوعي مع الماضي المتعفن بكل اوتاره واوضاره ، وحوارا طامحا مع المستقبل بكل آماله واحلامه ، وحوارا واعيا كذلك مع الحاضر .. بكل رفضه للهابط الخابط .. وبكل عناقه للصاعد الواعد .. من احلام المستقبل وآثار الماضي بلا تفريط ..

ابعاد الانفتاح :

يبدو (الانفتاح الفكري) قضية صحيحة اذن .. وهو ليس قضية

صحيحة لمجرد انه مجال (قابل) يأخذ من هنا وهناك ، ولكنه قضية صميمية لأنه مجال قابل وفاعل معا .. بمعنى انه يفتح جهاته الاربع على كل اضلاع الزمن ماضيه وحاضره ومستقبله .. وعلى كل اضلاع الثقافات قديمها وحديثها .. أولا : لأنه من خلال هذا الجدل الوجودي والفكري يصوغ رؤيته على وهج التجربة وليس على مجرد الاحساس .. وثانيا : لأنه ليس مطالبا بان يعي مناهج الفكر لكي يكون واعيا بها ثم لا شيء ، ولكنه يعي .. ويتمثل .. ويستوعب .. ويعاني ، لكي يندفع بكل هذا الوعي وبكل هذا التمثل وبكل هذا الاستيعاب وبكل هذه المعاناة الى خوض معركة الفاصلة ، واعيا .. ومقاتلا !!

الانفتاح جهد وكدح :

اذا كان (الانفتاح الفكري) في غير الاسلام ترفا فهو في الاسلام كدح نمائي .. واذا كان (الانفتاح الفكري) في غير الاسلام ضياعا واخلخلة فهو في الاسلام مرابطه واعداد .. واذا كان (الانفتاح الفكري) في غير الاسلام بحثا عن هوية تائهة فهو في الاسلام تعميق لجذور هوية غير قابلة للانفراط .. وهذا هو الفرق .. ان الترف قد يكون بعض مباحج الشاعر الباحث عن حدائق الالهام .. ان الضياع قد يكون بعض مناطات التافهين الذين يرتعشون فرقا تحت شمس التحديد .. كما ان البحث عن الذات وهي في قبضة الذات قد يكون بعض مأساة الفارغين .. ولكن قضية الكدح الغائي ، ولكن قضية المرابطة والاعداد ، ولكن قضية تأكيد الهوية وتعميق جذورها هو بالفعل كل هموم العقائدين .. وهذا هو الفرق ..

البعد عن التجرد :

ان (الانفتاح الفكري) لا يعني عناق الفعل في مرحلة واحدة من

مراحل التطور ثم يتكلس .. أي انه لا يمكن ان يكون انفتاحا على مرحلة واحدة ثم يفلق نوافذه بتجمد .. ان نهر الفكر دائم التجدد ، ودائب الاندفاع ، وهو مع كل مشرق شمس يحمل الى حواريه مزيدا من الطهارة ومزيدا من الجدة ... ولكي يكون الانسان العقائدي - وهو (الشخصية الاسلامية) فيما نعني هنا - على مستوى قضيته ، فانه مطالب بلا هوادة بان يعيش في قلب عصره وقلب كل العصور في وقت معا .. أي انه مطالب بان يعي ثقافة عصره ليدير حواراه مع مفردات هذا العصر ، ومطالب كذلك بان يعي ثقافة كل العصور انطلاقا من قضية مسلمة هي ان الثقافة شجرة جذورها غائصة في تربة الزمن ، وفروعها ضاربة في آفاق العصور .. فان الوعي بثقافة العصر يعني اقتدارا على معايشة المقولات المستحدثة .. ولكن الوعي بثقافة الماضي يعني كذلك اقتدارا على تأصيل المقولات وليس مجرد الافضاء بهذه المقولات ..

عارضة خطيرة :

قد نشتبك هنا مع قضية عارضة خطيرة : هل يعني (الانفتاح الفكري) تبديل العقائد تماما كما تستبدل الآراء ؟

ابدا .. لأن جوهر الفكر الاسلامي لا يستحيل ولا ينكفيء الى نقيضه ، ولكن هذا الجوهر الفكري قابل باستمرار لمواجهة ان يقال باكثر من لغة ، وان يتدثر باكثر من رداء .. قد يكون الشكل العلمي الاكاديمي هو المنطق الصوابي لجوهر الفكر الاسلامي في مرحلة .. وقد يكون الشكل الفلسفي هو المنطق الصوابي لجوهر هذا الفكر الاسلامي في مرحلة اخرى .. وقد يكون الشكل الجدلي هو المنطق الصوابي لهذا الجوهر في مرحلة ثالثة .. الا ان هذا التشكل لا يعني على الاطلاق استحالة لون الى لون .. وانما هو يعني فقط اقتدار هذا الفكر على

استيعاب كل التكوينات واذا كان عصر المنطق العلمي يتطلب مقولات علمية ، وكذلك يتطلب عصر الفلسفة مقولات فلسفية .. هكذا يكون دعاة العصور الاولى ودعاة عصرنا الراهن ملتقين على كلمة (الاسلام) ولكنهم يذهبون في شروحاتهم وتفسيرهم وطرائق جدلهم مذاهب شتى ، ومن هنا كان ثراء هذا الفكر الاسلامي .. ان ثقافة عصر من العصور تفرض بالضرورة ان يتسلح الداعية بمنطق هذه الثقافة ، ولقد أحاول ان أخطب الشباب بمنطق الكهول فيصيبني الاحباط ، فلماذا أحاول ان ألوي عنق التاريخ فأفرض على مرحلة منطق مرحلة بلا تبرير ؟؟ فقط ينبغي ان أقبض على جذوري ، ولي بعد ان اضعهما على ما شئت من الاصعدة فكريا وفلسفيا وفنيا ..

و (الانفتاح الفكري) يجري ابعد من هذه الاشواط .. انه يعيد تقيمه لذاته في حومة هذا الجدل الوجودي .. انه يقوم بمراجعة شاملة عند كل منحنى من منحنيات طريقه الصاعد ، ربما ليتيح لذاته ان تعيد تقييم خطواتها اولا بأول ، وربما ليقس مسافات الاستمرار والجمود في رحلته العارضة ..

وأمل ان لا يخرجنا شعوريا مصطلح الاستمرار فنحن أولى به وهو أولى بنا .. ان التطور لا يعني (كما يفهمه الساذجون) انتقالا من الابيض للاسود .. ولكنه يعني دائما انتقالا بالابيض من مجرد البوح الى حقيقة الفعل ، يعني الاندفاع بالابيض من مساحة الوطن الى مساحات كل البقاع ، يعني تناول الابيض من منظور معاصر ومثقف في مواجهة تناول هذا الابيض من منظور ورأئي ومعصوب ..

احتواء الاسلام للزمن :

و (الانفتاح الفكري) حين يعيد تقيمه لذاته ليطور من امكانية

هذه الذات انما يندفع في مسار صوابي موائم لطبيعة الاسلام كعقيدة قابلة لاحتواء الزمن بأضلاعه المثلثة : الماضي .. والحاضر .. والمستقبل .. وموائم لطبيعة الاسلام كعقيدة قابلة كذلك للتعامل مع كافة الثقافات، يقينا منا بان مضمونها الحضاري يرفض ان يكون جبانا لأنه متمليء بعناصر التكامل والاستمرار والانفتاح .. وموائم ايضا لطبيعة الاسلام كعقيدة مقاتلة وليست ساكنة ، بمعنى ان معارك الفكر الاسلامي ينبغي ان لا تطمئن الى شاطئ نجاة واحد .. لأن تبج الخضم وانواء الطبيعة هو قدرها المندور .. انها تبحر من عراك الى عراك ، ومن جدل الى جدل، ومن حوار الى حوار اشمل حضارية .. ومن حوار حضاري الى حوار اشمل حضارية .. كذلك كان الفكر الاسلامي منذ مطلعته وهكذا ينبغي ان يكون .. انها ليست نظرية في السياسة . وليست نظرية في الاقتصاد .. وليست نظرية في الحرب .. وليست نظرية في الاجتماع .. انها بنساء عقائدي يمتد من علاقة الفرد بالفرد على هذه الارض ، الى علاقة الفرد بالكون والارض ، الى علاقة الفرد والارض بالقوة الخالقة المتعالية اللامحدودة وان كان هذا لا يتعارض في مجال الفكر مع تسليط الضوء على رأي الاسلام في السياسة .. وفي الاقتصاد ، ورأيه في الحرب ، ورأيه في الاجتماع ..

تكامل الانفتاح :

ان (الانفتاح الفكري) في اطار الواقع الاسلامي لا يعني ان نكب على نوعية فكرية جامدة ، وانما على نوعيات صاعد بعضها من بعض ، ومتعال بعضها على بعض وتمتم بعضها لبعض .. أي ان ما يسمى سياسة، واقتصادا ، وفلسفة ، واجتماعا ، يصبح بالضرورة بعض مفردات الفكر الاسلامي من وجهة انفتاحية ، فليس حوارا عقائديا ما ينهض على استقطاب نوع واهمال انواع .. قد يكون حوارا من أي لون نسميه

ما شئنا من الاسماء . ولكنه لن يرقى الى مستوى التنظير العقائدي في عالم كل ما فيه خاضع لمنطق النظرية ، وهادف الى غاية التأصيل ..

واذن يصبح (الانفتاح الفكري) بهذا المعنى ، او قل من هذا المنظور مكونا أوليا من مكونات (الشخصية الاسلامية) .. ويصبح الجدل لا في وجود هذا الانفتاح او عدمه .. وانما فقط (من اين والى أين) .. ويصبح فكرنا نحن بهذه الوضعية الصوابية فكرا متعايشا في شرايين عصره المائج ، حاملا احلام غده المأمول في اهداب يومه المائج المتوشح بألمه الرائع .. ونصبح نحن .. جيل الـراية المتحم .. الذين يرفدون بالعنفوان كل لحظات التاريخ ..



ان محاولة بناء الشخصية الاسلامية لا يمكن ان تتم الا اذا توفرت عناصر الثورة في نفس ذلك الانسان حتى يكون البناء صلبا لا تهزّه الأعاصير ولا تزعزه الزوابع ولا تجرفه السيول ..

الثورة قطعة من الاسلام بلورها الحسين (ع) وعمار وبلال وميثم وابي ذر وكل الشهداء الذين سقوا بدمائهم ارض الاسلام ، وهي تنفجر دوما في نفوس المؤمنين .. في نفوس الأبطال الذين رقابهم لله على حبال المشاق ..

ان اجتماع العناصر الاربعة : الفكر .. الروح .. الثورة (الجهاد) .. الجسد - في الشخصية المسلمة كقيل بخلق اولئك الرجال الذين قال الله فيهم :

(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) صدق الله العظيم . النور : ٢٧

(٦)

وبعد .. نستطيع ان نرسم الآن في ضمير التاريخ معالم الشخصية في الاسلام .. ونستطيع ان نحدد زوايا الانعطاف في الهياكل البشرية .. نظرة الى تلك الشخصية تجعل حساباتنا السابقة مجرد حبر على ورق ثم لا شيء .. الشخصية في الاسلام مؤسسة .. والمؤسسة تحوي عناصر تأسيسها .. عناصر التأسيس في الشخصية الاسلامية هي الآتي : العقيدة ، الفكر ، الروحية ، الجسد .. وهي بمضمونها ترسم صورة المسلم الحقيقي .. التقي .. المسلم الذي يمشي على الأرض وقلبه في السماء .. ذلك يعمرّ الأرض بيده .. ويعمرّ السماء بقلبه ..

الشخصية في الاسلام مؤسسة .. لأن المؤسسة سلطة .. والسلطة ليست وجاهة .. انما مسؤولية .. والمسؤولية اما من ؟؟ .. امام السلطة المطلقة .. امام السلطة الخالقة .. امام السلطة التي تحكم السماء والأرض ..

الشخصية في الاسلام مؤسسة اعلامية .. وهنا الفرق بين ان نملك وسائل اعلام ميكانيكية وبين ان نملك وسائل اعلام حيوية .. هنا الفرق بين تلك التي تدار آليا وتلك التي تنبض مع نبضات القلب وتتفجر مع تفجر البراكين وتغلي مع غليان الدم في العروق ..

الفرق هنا بين الاعلام الميكانيكي وبين الاعلام الحيوي .. لا جدوى من نقل الاحداث نقلا ميكانيكيا مجردا .. لأن العواطف والمشاعر لا يهزها النقل الآلي ولا يرفدها النقل الميكانيكي ..

التفكير .. ميكانيكي .. قد يكون ، الجدل .. ميكانيكي ، قد يكون ، الخطابة .. ميكانيكية .. قد تكون ، اما المشاعر .. ميكانيكية .. فلا .. لأن المشاعر ادراك عميق .. وبحث عن هوية ذاتية .. فلا استطيع ان اكتشف هويتي من خلال نقل ميكانيكي .. وهنا الفرق ..

الشخصية الاسلامية مؤسسة اعلامية حية ، خلاياها تنبض بالحياة وترفد بالدم .. لها القابلية على التجديد .. ولها القابلية على التفاعل والتأثير .. ليست اداة جامدة وليست عنصرا خاملا .. تتفتح مع مشرق كل شمس وتتجدد مع انبثاق كل حياة ..

المؤسسة الاعلامية الميكانيكية تحتاج الى عقل وايدي فقط ، اما المؤسسة الاعلامية الحية فتحتاج الى عقل وروح وايدي وهي التي يوفرها الاسلام في ذلك الكيان الذي يسمى بالشخصية الاسلامية ..

أي عقيدة تلك التي تجسد الفكر الى عمل وتجسد الروح الى عواطف ومشاعر .. وأي عقيدة تلك التي تنبت شجرة التنظيم في عقل الانسان .. وأي عقيدة تلك التي تخلق من الانسان المبعثر الجاهل المهزوز انسانا تصطف له الملائكة بالاجلال والتقدير .. وأي عقيدة تلك التي تربط الأرض بالسماء وتربط المخلوق بالخالق وتربط الانسان بالكون .. أي عقيدة تلك ..

لا عقيدة غير الاسلام تجمع هذه المواصفات .. ولا شخصية غير شخصية المسلم قادرة على استيعاب هذه المواصفات والتفاعل معها ..

الشخصية الاسلامية مؤسسة اعلامية .. لأنها تكوين يربط بين الاعلام كوسيلة وبين الاسلام كدين وعقيدة ونظام حياة ..

موضوعات الكتاب

٧	مقدمة
١٢	متانة الفكر الاسلامي
١٧	قوة الشخصية الاسلامية
١٧	دراسة نفسية الناس في المجتمع المراد تنويره بالاسلام
١٩	دراسة التيارات الفكرية المعاصرة
٢٧	دراسة موقع الاسلام من التيارات المعاصرة
٣٧	دراسة الاسلوب الافضل للاعلام الاسلامي الحديث
٤٤	رجل الاعلام الاسلامي
٤٦	الفكرة الاسلامية
٤٧	وسيلة الاتصال
٤٨	المرسل اليه
٤٨	التأثير
٤٩	المؤثرات
٥٢	السلوك ورد الفعل

القسم الثاني

٨٣	مقدمة
٨٩	العوامل التكوينية

٩٢	الذكاء والقدرات
٩٥	الانفعالات والعواطف
٩٩	العوامل الاجتماعية والثقافية
١٠٦	الفكر
١١٢	العاطفة
١١٨	الروحية
١١٩	الهدف
١٢٦	الجسر
١٢٦	القيادة والحركة والايجابية
١٣٢	الشخصية الاسلامية
١٣٧	الانفتاح الفكري

